الجواب

بسم الله الرحمن الرحيم نحمده ونصلي على رسوله الكريم

إلى المحب المخلص.. حبي في الله محمد بن أحمد المكّي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أما بعد، فإنه قد وصلني مكتوبك وقرأته من أوله إلى آخره، وسرّني كلُّ ما ذكرته في مكتوبك، وشكرت الله على أنك وصلت وطنك وبيتك بالخير والعافية، ولقيت الأحباب وعشيرتك الأقربين.

وأما ما ذكرتَ طُرفًا من حسن أخلاق السيد الجليل الكريم علي طايع وسيرته الحميدة وآثاره الجميلة، ومودّته وحسن توجّهه عند سماع حالاتي، ومِن أنه سُرَّ بذلك، فأنا أشكرك على هذا، وأشكر ذلك الشريف السعيد الرشيد، وأسأل الله لك وله خيرا وبركة وفضلا ورحمة إلى يوم الدين.

وقد **أُلقيَ** في قلبي أنه رجل طيب صالح، وعسى أن ينفعنا في أمرنا، ويُكمل الله لنا بعض شأننا بتوجهه وحسن إرادته وعلى يده، واللهُ يدبّر أمور دينه كيف يشاء، ويجعل من يشاء وسيلة لتكميل مهمات الإسلام، ويجعل من يشاء لدينه من الخادمين. وفطنتُ بفراستي أن ذلك السعيد الذي ذكرت محامده في مكتوبك رجل شجاع في سبيل الله لا يخاف لومة لائم عند إظهار الحق وإشاعته

وتأييده وتشييده، وقد جمع الله فيه سِيَرًا محمودة، وأخلاقا فاضلة، مع الفتوة والشجاعة، وانشراح الصدر، وجود النفس، والورع والتقوى، ومنَّ عليه بتوفيق الإخلاص والاجتهاد في سبيل الله، كما مَنَّ عليه بإعطاء الثروة والغناء، وجعله في الدنيا والآخرة من المنعَمين. وكذلك إذا أراد الله بعبد خيرا فيعطيه من لدنه قوة في الخيرات، وطاقة في الحسنات، ويجعل مِن سِيَرِه القيام بمهمات الدين والفكر لإحياء الملة وإشاعة كتبها، وتمزيق دساتير الشياطين الملعونين؛ فلا يخاف إلا الله، وإن ير خير الدين في أمرٍ مِن بذلِ روحه وإهراق دمه فيقوم مستبشرا للشهادة، فيعتصم بحبلِ الله جميعا من قوة بدنه وقلبه وجوارحه وعقله وفهمه، ويُنهِض كل ذراته لطاعة الله وانقياد أوامره، ولا يغفل عن ربه طرفه عين، ويقف بالمرصاد في كل حين. ويُشمّر الذيل لإفشاء أحكام الله وإعلائها وإن كان فيه خطر عظيم أو عذاب أليم. ويبارز كالفحول ولا يقربه أثرُ الجبن والحؤُول، ولا يتأخر لخَطْبٍ خَشَّى وخوفٍ غَشَّى، ويَنُصّ للدين رِكاب السُّرى، ويجُبُّ لتأييده كلَّ وعور وجبالٍ عُلى، ليرضي الله المولى ويدخل في المحبوبين.

وإني أرى أن أذكر لهذا الفتى النجيب قليلا من حالاتي، ومما أنا عليه من هداية ربي، وأكشف له عما منَّ الله به عليَّ، وأعرّفه من بعض سوانحي، لعله يزيد معرفة في أمري، ولعله يتفكر ويعلم ما أراد الله رب العالمين.

فاعلموا يا إخواننا.. رحمكم الله وحماكم وحفظكم.. أن الله اطّلع على الأرض في هذا الزمان فوجدها مملوّة من الفسق والكفر والشرك والبدعات، وأنواع المعاصي ومكائد المتنصرين. **ورأى** أن أرض قلوب الناس قد فسدت، وكل قرية عامرة ومزارع صلاحها تعطلت، وغلبت الضلالة على كل برّ وبحر، وأفواج الفتن من كل جهة ظهرت، وقلَّ أثر الصالحين.

ورأى الناسَ أنهم قد مالوا إلى اعتقادات رديّة فاسدة، وعزوا أمورا إلى حضرة الوتر سبحانه يجب تنـــزيهه عنها. ورأى أن النصارى جعلوا عبدا عاجزا إلها، وخرقوا لإثبات الألوهية دلائل من التوراة والإنجيل بتأويلات منحوتة من عند أنفسهم، وصاروا في الأرض أئمة المفسدين. وقد أضلوا خلقا كثيرا، وارتبط بهم كل قلب فاسد ارتباطَ ذراري الشيطان بالشيطان، وجاءوا من لطائف حِيَلِهم بسحر مبين.

يستجلبون الناس إلى دينهم بأنواع من التدابير التي لا نهاية لها، فرغب إليهم كثير من عَبَدة الأوثان وجهلاء المسلمين المحجوبين، وأذعن المرتدون لهم وصدّقوا مفترياتِهم، وآمنوا بتمويهاتهم، ودخلوا في دينهم الباطل، ونزعوا عن أنفسهم ثياب دين الإسلام، وغشِيهم الغي كالسيل المنهمر، وأدركهم العطب كالوباء العام، فهلكوا مع الهالكين. وما بقي قوم في الهند ولا قبيلة في هذه الديار إلا دخل بعض منهم في دين التنصر إلا ما شاء الله. وكانت هذه بليّة عظمى

على دين الإسلام ما سُمِعَ نظيرها من قبل وما وُجِدَ مثلها في الأولين. ولو فصّلنا أنواع فتنتهم وأقسام مكائدهم لرأيتَ أمرًا يهولك الاطلاع عليه، ولَمُلئتَ خوفا وحزنا، ولبكيتَ على مصائب المسلمين.

وما كان دليلهم على **ألوهية المسيح** إلا أنهم زعموا أنه خلق الخَلق بقدرته، وأحيا الأموات بألوهيته، وهو حيّ بجسمه العنصري على السماء، قائم بنفسه مُقوِّمٌ لغيره، وهو عين الرب والرب عينه، وحَمَل أحدهما على الآخر حمل المواطأة، وإنما التفاضل في الأمور الاعتبارية، أزليٌّ أبديّ وما كان من الفانين. ويُجوِّزون لله تنـــزّلاتٍ في مظاهر الأكوان، ثم يختصونها بجسم المسيح جهلا وحمقا، وليس عندهم على هذا من دليل مبين.

ويسبّون رسول الله ﷺ ويشتمون وينحتون في شأنه بهتانات، ولا يتكلمون إلا بسبيل التعنيف والتهجين والتوهين. وألّفوا في الرد على الإسلام وتوهين رسول الله ﷺ ألوفا من الكتب وطبعوها وأشاعوها في البلاد، وتبعوا آثار إبليس اللعين.

فلما بلغتْ فتنُهم إلى هذا المبلغ وأضلّوا جِبلاًّ كثيرا، اقتضتْ رحمة الله الرحيم الكريم أن يتدارك عبادَه ويُنجيهم من كيد الكافرين. فبعث عبدا من عباده ليؤيد دينه، ويجدّد تلقينه، وينير براهينه، وينضِّر بساتينه، ويُنجِز وعده ويُعِزّ حبيبه وأمينه، ويجعل الأعداء من الخاسرين. وخصّني بعناياته، وأمَرني بإلهاماته، وربّاني

بتفضلاته، وأيّدني بتأييدات متعالية عن طور العقل، وآتاني من لدنه العلومَ الإلهية والمعارفَ والنِّكات، وشفَعها الآيات، ليتعاطى الناس مني كأس البصيرة واليقين.

فيا حسرة على قومي! إنهم ما عرفوني وكذّبوني، وسبّوني وكفّروني، ولعنوني كما يُلعَن الكافرون. فتصدَّى كل أحد منهم بالغلظة والفظاظة والغيظ والغضب والاستيشاط، ودرَأْنا بالحسنة السيئةَ، ولكنهم ما تجافَوا عن الاشتطاط، وما سمعوا قول ناصح، ونسوا وألغوا وعيد الله الذي أُعِدَّ لقوم مجرمين. وصدّوا خَلق الله عن سبيله، وأرادوا أن يُطفئوا نور الحق بأفواههم، وقاموا في كل طريق عنيتُ، فلأجل شرورهم سئمتُ التكاليفَ وتعنّيتُ، ومع ذلك خاطبتُهم بألين القول وطريق الرفق والموعظة الحسنة، ومهّلتُهم وعفوت عنهم صبرا مني، فإنهم لا يرون مَجالِيَ الحق وظهوراته، ولا يعرفون المعارف الدقيقة ومآخذها، ولا يقلِبون جنوبهم إلا كالنائمين.

ويُجادلونني في **أسرار** قبل أن ينظروا فيها ويُفتّشوا حقيقتها، وقد عجزوا أن يحتجّوا عليَّ بوجه المعقول والمنقول، وسقطوا عليّ كالجهلاء والسفهاء، وأرادوا أن يغلبوا بالسبّ والشتم والتكفير والبهتان، وقَفَوا ما لم يكن لهم به علم، وتركوا سبيل المتقين. وما تركوا شيئا من سوء الظن وتركِ الأدب والافتراء والقيام بمخالفة الحق، وما شهدوا إلا بِزُورٍ، وما جادلوا إلا بمكائد الشياطين. فلما

اضطرمتْ نار الفساد بأيديهم، وانطلقتْ إلى دخان الفتن أرجلُهم، سألتُ الله ربي أن يُعينني من لدنه ويؤيدني من عنده، وقلتُ ربنا افتَحْ بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين.

فأيّدني ربي بآيات، وأنار أمري ببركات، وأتم حجتي على الطالبين، ولكنهم ما خلّوا سبيلي وما كانوا منتهين. وجحدوا وقد تبين الرشد من الغي وحصحص الحق. فأعجبَني إنكارُهم وقساوة قلوبهم، إنهم رأوا علامات صدقي وآيات قبوليتي، وما رجعوا إلى الحق وما كانوا راجعين.

يا حسرة عليهم! إنهم لا يفهمون حقيقة الواقعات، ولا يقبلون الآيات، بل يحتالون عند رؤيتها ويتعامون مع وجود الأبصار، ويفترون عليّ أشياء ويريدون أن يُطفئوا نور الإسلام، وصاروا ظهيرا للكافرين. وكان **الحق** واضحا صريحا مشرقا كالشمس، ولكن أخذتْهم العزة والحسد والبخل، فطبَع الله على قلوبهم، وجعل على أبصارهم غشاوة، فما استطاعوا أن يروا الحقيقة كالمبصرين. إنهم شابهوا اليهود ونزلوا منازلهم بتوارد الأعمال والأفعال والنيات والخواطر، ووقع هذا التوارد كما يقع الحافر على الحافر، وما انتهوا بل يزيدون في كل حين.

والذين مَنَّ الله عليهم بالهداية، وأراهم نهج الصدق والصواب، فأولئك الذين ينظرون إليَّ بحسن الظن، ويفكّرون في أمري بنور القلب، فينبِّئُهم نورُهم بحقائق صدقي، ويقبَلون ما أقول لهم، ولا

يشابهون تلك السفهاءَ الجهلاء، ويسلكون مسلك الأتقياء، ويتبعون سبل السعداء، ويأخذون أدب الصلحاء، وقد أنزل الله عليهم سكينة من عنده وجعلهم من المستيقنين. يتقون الله ويخافون مقامه وليسوا كالذي يذَر الآخرةَ ويُلغيها، ويحب العاجلةَ ويبتغيها، ويظلم الفئةَ الصالحة ويؤذيها، ويسعى في الأرض ليفسد فيها، ويُضل أهلها ويُكفّر قوما مؤمنين.

وإن أحبائي لَمتّقون جميعهم، ولكن أقواهم بصيرةً وأكثرهم علمًا، وأفضَلهم رفقًا وحلمًا، وأكمَلُهم إيمانًا وسِلمًا، وأشدّهم حبًّا ومعرفةً وخشيةً ويقينًا وثباتًا، رجلٌ مبارك كريم تقيّ، عالم صالح فقيه محدّث جليل القدر حكيم حاذق عظيم الشأن، **حاجّ** الحرمين حافظ القرآن، القرشي قومًا والفاروقي نسبًا، واسمه الشريف مع لقبه اللطيف: المولوي الحكيم **نور الدين البهيروي**، أجزلَ الله مثوبته في الدنيا والدين. وهو أول رجال بايعوني صدقًا وصفاء وإخلاصا ومحبة ووفاء، وهو رجل عجيب في الانقطاع والإيثار وخدمات الدين. أنفق مالاً كثيرا لإعلاء كلمة الإسلام بوجوه شتى، وإني وجدتُه من المخلصين الذين يؤثرون رضى الله سبحانه على كل رضاء ونساء وبنات وبنين. ووجدته من قوم يبتغون مرضاة الله ويجتهدون لرضوانه ببذل أمواهم وأنفسهم، ويعيشون في كل حال شاكرين. وإنه رجل رقيق القلب نقيُّ الطبع حليم كريم جامِعٌ لمآثر الخير، كثيرُ الانسلاخ عن البدن ولذّاته. لا يفوته موقع من مواقع

البر، ولا موضع من مواضع الحسنات، ويُحبّ أن يَسكُب دمه كماء في إعلاء دين رسول الله ﷺ، ويتمنى أن تذهب نفسه في تأييد سبيل خاتم النبيين، ويقفو أثرَ كل خير، وينغمس في كل بحر لإجاحة فتن المتمردين.

فأشكر الله على ما أعطاني كمثل هذا الصديق الصدوق، الفاضل الجليل الباقر، دقيق النظر عميق الفكر، المجاهد لله والمحب في الله بكمالِ إخلاص ما سبقه أحد من المحبين.

وأشكر الله على ما أعطاني جماعة أخرى من الأصدقاء الأتقياء من العلماء والصلحاء العرفاء، الذين رُفعت الأستار عن عيونهم، ومُلئت◈ الصدق في قلوبهم. ينظرون الحق ويعرفونه، ويسعون في سبيل الله ولا يمشون كالعمين. وقد خُصُّوا بإفاضة تَهْتان الحق ووابل العرفان، ورضعوا ثدي لبانه، وأُشرِبوا في قلوبهم وجه الله وطرق غفرانه، وشرَح الله صدورهم وفتح أعينهم وآذانهم، وسقاهم كأس العارفين.

فمنهم الأخ المكرم العالم المحدّث الفقيه الجليل السيد المولوي **محمد أحسن،** كان الله معه في كل موطن، ونصره في الميادين. إنه رجل صالح تقيّ غيور للإسلام، هدَم هيكلَ جهالة العلماء المخالفين بتأليفات لطيفة، وأطفأ نارهم وجاء بنور مبين، وأطفأ الفتن المتطائرة

◈ *سهو، والصحيح: "مُلئ". (الناشر)*

بماء مَعين. ورزقه الله ذخيرة كثيرة من علوم الدين والآثار النبوية، وله بسطة عجيبة في فن الأحاديث وتنقيدها وتمييز بعضها من بعض، والمخالفُ لا يمكث في ميدانه طرفة عين، وهُمْ مع تحريكات غيظهم وغضبهم وكثرة إمعانهم وخوضهم وشدة حرصهم على المناضلة يفرّون منه كفرار الحمير من الأسد، وإنْ هذا إلا تأييد الله الذي هو مؤيد الصادقين. ومع ذلك إنه زاهد متّق، كثير البكاء من خوف الله، يخاف مقام ربه ويعيش كالمساكين.

هذا ما أردت أن أقص عليك قليلا من شمائل أحبائي، وما هذا إلا فضل ربي ورحمته. إنه كان بي حَفِيًّا مذ كنتُ صغيرا ومُذ أيفَعتُ، وتولاني وكفلني في كل أمري. وكذلك صرَف إليَّ نفرًا من العرب العرباء، فبايَعوني بالصدق والصفاء. ورأيت فيهم نور الإخلاص، وسمة الصدق، وحقيقة جامعة لأنواع السعادة، وكانوا متصفين بحسن المعرفة، بل بعضهم كانوا فائضين في العلم والأدب، وفي القوم من المشهورين. وألّف بعضهم رسالة* في تصديقي وتأييدي، ورَدَّ على الذين كانوا من المنكرين. ورأيت أنهم يميلون إليَّ بالتودد والتحبب ولا يُشابهون بعض علماء الهند، ولا يُصرّون على

* تلك الرسالة المسماة "إيقاظ الناس" ألّفها حبي في الله أول المبايعين إخلاصا وصدقا من بلاد الشام.. السيد العالم التقي.. محمد سعيدي الطرابلسي الشامي النشّار الحميداني، وقد ألحقتُها بمكتوبي هذا لينتفع بها كل فهيم من الناظرين. منه.

الإنكار بعدما فهموا، فهذا هو السبب الذي حملني على تأليف بعض الرسائل العربية، وحثّني على دعوة تلك الشرفاء والمسعودين.

وكنت أريد أن أرسل إليكم تلك الرسائل، ولكني سمعت أن بعض عَمَلة **السلطان** يفتشّون في الطريق ويقرأون الكتب، ويحرّفونها بأدنى ظن. فأيها الأعزة! أنبئوني كيف أرسل، وبأي تدبير تصل إليكم، وأنا أجتهد في مكاني لهذا المقصد وأشاور المجربين.

وإني معكم يا نُجباء **العرب** بالقلب والروح، وإن ربي قد بشّرني في العرب، وألهمَني أن أمونهم وأُريهم طريقهم وأُصلح شؤونهم، وستجدوني في هذا الأمر إن شاء الله من الفائزين.

أيها الأعزة! إن الرّب تبارك وتعالى قد تجلّى عليّ لتأييد الإسلام وتجديده بأخصّ التجليات، ومنَح عليَّ وابلَ البركات، وأنعَمَ عليَّ بأنواع الإنعامات، وبشَّرني في وقتٍ عبوسٍ للإسلام، وعَيْشِ بؤسٍ لأُمّة خير الأنام، بالتفضلات والفتوحات والتأييدات، فصبوتُ إلى إشراككم.. **يا مشعرَ العرب**.. في هذه النِّعَم، وكنتُ لهذا اليوم من المتشوفين. فهل ترغبون أن تلحقوا بي لله رب العالمين؟

وإن بعض **علماء** هذه الديار لم يزالوا يبتغون بي الغوائل، ويريدون بي السوء ويتربصون عليّ الدوائر، ويتطلبون لي العثرات، ويكتبون فتاوى التكفيرات. وكنت أقول في نفسي: اللهم فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك

فيما كانوا فيه يختلفون. **فألهمني** ربي مبشّرًا بفضلٍ من عنده وقال: "إنك من المنصورين". **وقال:** "يَا أَحْمَدُ بَارَكَ اللهُ فِيكَ، ما رمَيتَ إذْ رميتَ وَلَكِنَّ اللهَ رَمَى، لِتُنْذِرَ قَوْمًا مَا أُنْذِرَ آبَاؤُهُمْ وَلِتَسْتَبِينَ سَبيل المجرمينَ". وقال: "قُلْ إنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي. هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ. لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللهِ وَإِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ". وقال: "أَنْتَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ وَمَا أَنْتَ بِفَضْلِهِ مِن مَجَانِينَ. وَيُخَوِّفُونَكَ مِنْ دُونِهِ. إِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا. سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، يَحْمَدُكَ اللهُ مِنْ عَرْشِهِ. وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى، وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللهُ واللهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ". فأدخل الله سبحانه في لفظ اليهود معشرَ علماء الإسلام الذين تَشابهَ الأمر عليهم كاليهود، وتشابهت القلوب والعادات والجذبات والكلمات من نوع المكائد والبهتانات والافتراءات، وإن تلك العلماء قد أثبتوا هذا التشابه على النظّارة بأقوالهم وأعمالهم، وانصرافهم واعتسافهم، وفرارهم من ديانة الإسلام، ووصية خير الأنام ﷺ، وكونهم من المسرفين العادين.

وكنت أظن بعد هذه التسمية أن **المسيح الموعود** خارج، وما كنتُ أظن أنه أنا، حتى ظهر السرّ المخفيّ الذي أخفاه الله على كثير من عباده ابتلاءً مِن عنده، وسمّاني ربي **عيسى ابن مريم** في إلهام من عنده، وقال: "يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ

الْقِيامَةِ، إنَّا جَعَلْنَاكَ عِيسَى ابْن مَرْيَم، وأَنْتَ مِنِّي بمَنْزِلَةٍ لا يَعْلَمُهَا الْخلْقُ. وَأَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ تَوْحِيدِي وَتَفْرِيدِي، وَإِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ".

فهذا هو الدعوى الذي يجادلني قومي فيه ويحسبونني من المرتدين. وتكلّموا جِهارا، وما رجَوا لِمُلهِمِ الحق وقارا، وقالوا إنه كافر كذّاب دجّال، وكادوا يقتلونني لولا خوف سيف الحكام، وحثّوا كل صغير وكبير على إيذائي وإيذاء أصدقائي، والله يعلم تطاول المعتدين.

وبعزّة الله وجلاله، إني مؤمن مسلم، وأؤمن بالله وكتبه ورسله وملائكته والبعث بعد الموت، وبأن رسولنا محمد المصطفى ﷺ أفضل الرسل وخاتم النبيين. وإن هؤلاء قد افتروا عليَّ، وقالوا إن هذا الرجل يدّعي أنه نبي ويقول في شأن عيسى ابن مريم* كلمات الاستخفاف،

* وقالوا إن في حديث مسلم وغيره من الصحاح.. قد جاء ذكر عيسى عليه السلام وذكر الدجّال المعهود بنحو يظهر منه أن عيسى بن مريم ينـــزل لقتل الدجّال، والدجالُ المعهود رجل أعورُ عينِ اليمنى كأن عينه عنبة طافية، ومكتوب بين عينيه: **ك ف ر**، وإنه يجيء معه بمثل الجنة والنار، فالتي يقول إنها الجنة هي النار، وهو ممسوح العين عليها ظفرة غليظة، وإنه شابّ قَطَطٌ، خارِجٌ خَلّةً بين الشام والعراق، فعاثَ يمينا وعاث شمالا، ولَبْثُه في الأرض أربعون يوما.. يوم كسنة ويوم كشهر ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيام أهل الأرض، وإسراعه في الأرض كغيث استدبرتْه الريحُ، ويَأْمُرُ السّمَاءَ فَتُمْطِرَ وَالأرضَ فَتُنْبِت، وتتبَعُه كنوزُ الأرض كيَعاسِيبِ النحْلِ، ويَدْعُو رَجُلاً مُمْتَلِئاً شَبَاباً، فَيَضْرِبُهُ بِالسّيْفِ فَيَقْطَعُهُ جِزْلَتَيْنِ رمية الغرض، ثُمّ يَدْعُوهُ فيُقْبِلُ ويَتَهَلّلُ وَجْهُهُ يَضْحَكُ.

فَبَيْنَما هُوَ كَذَلِكَ إِذْ بعث الله المسيح ابن مَرْيَمَ، فينــزل عِنْدَ المَنارَةِ البَيْضاءِ شَرْقِيَّ دِمَشْقَ بَيْنَ مَهْرُودَتَيْنِ وَاضِعاً كفّيه عَلَى أَجْنحَةِ مَلَكَيْنِ، إِذَا طَأْطَأَ رَأْسَهُ قَطَرَ وإِذَا رَفَعَهُ تَحَدَّرَ مِنْهُ مثلُ جُمانٍ كاللُّؤْلُؤِ، فلا يحلّ لكافر يَجدُ من ريح نَفَسِهِ إلا مَاتَ، ونَفَسُه ينتهي حيث ينتهي طرفُه، فَيَطْلُبُهُ حَتّى يُدْرِكَهُ بِبَابِ لُدّ، فَيَقْتُلَهُ. ثم يأتي عيسى قوم قد عصمهم الله منه، فيمسح عن وجوههم، ويحدّثهم بدرجاتهم في الجنة. فبينما هو كذلك إذ أوحى الله إلى عيسى أني قد أخرجتُ عبادًا لي لا يَدانِ لأَحَدٍ بِقِتَالِهِمْ، فحَرِّزْ عبادي إلى الطور. وَيبعَثُ الله يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون، فَيَمُرّ أوائلهم على بُحَيْرَةِ طَبَريّة، فَيَشْرَبُون مَا فِيهَا، ويمرّ آخرُهُمْ فيَقُولُ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرّةً مَاء، ثُمّ يَسيرُونَ حَتّى يَنْتَهُوا إِلَى جَبَلِ الخمر، وهو جبل بَيْتِ المَقْدِسِ، فَيَقُولُونَ: لَقَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي الأَرْضِ هَلُمَّ فَلْنَقْتُلْ مَنْ فِي السّمَاءِ. فَيَرْمُونَ بِنُشّابِهِمْ إِلَى السّمَاءِ، فَيَرُدُّ اللهُ عَلَيْهِمْ نُشّابَهُمْ مخضوبةً دَمًا. وَيُحْصَرُ نبيُّ الله وَأَصْحَابُهُ حتى يكونَ رَأْسُ الثور لأحدهم خَيْراً مِنْ مِئَةِ دِينَارٍ لأَحَدِكُمْ اليَوْمَ. فَيَرْغَبُ نبيُّ الله عيسَى وَأَصْحَابُهُ إلى الله، فيُرْسِلُ عَلَيْهِم النَّغفَ فِي رِقَابِهِمْ، فَيُصْبِحُونَ فَرْسَى كَمَوْتِ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ. ثم يَهْبِطُ نبي الله عِيسَى وَأَصْحابُهُ إلى الأرض، فلا يَجدُون في الأرض مَوْضِعَ شِبْرٍ إلا مَلأَهُ زَهَمُهُمْ وَنَتْنُهُم. فَيَرْغَبُ نبي الله عيسَى وَأَصْحَابُهُ إِلَى الله، فيُرْسِلُ اللهُ طَيْراً كأَعْنَاقِ البُخْتِ فَتَحْمِلُهُمْ فَتَطْرَحُهُمْ حيث شاء الله. وَيَسْتَوقِدُ المسلِمُونَ مِنْ قِسِيّهِمْ وَنُشّابِهِمْ وَجِعَابِهِمْ سَبْعَ سنينَ. ثم يُرْسِلُ الله مَطَراً لا يُكَنُّ مِنْهُ بَيْتُ مَدَرٍ وَلا وَبَرٍ، فَيَغْسلُ حتى يَتْرُكَهَا كَالزَّلَفَةِ. ثمّ يُقَالُ لِلأَرْضِ: أنبتي ثَمَرَتَكِ وَرُدِّي بَرَكَتَكِ، فَيَوْمَئِذٍ تَأْكُلُ العِصَابَةُ من الرّمّانَة، وَيَسْتَظِلّون بِقِحْفِهَا، وَيُبَارِكُ فِي الرِّسْلِ حَتّى إنّ اللِّقْحَة مِنَ الإِبل لتكفي الفِئَامَ مِنَ النّاسِ، واللِّقْحَة مِنَ الْبَقَرِ لتكفي القبيلةَ من الناس، واللِّقْحَةِ مِنَ الغَنَم لتكفي الْفَخِذَ من الناس. فَبَيْنَما هُمْ كَذَلِكَ إِذْ بَعَثَ الله ريحاً طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وكل مسلم، وَيَبْقَى شِرارُ النّاسِ يَتَهَارَجُونَ فيها تَهارُجَ الْحُمرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السّاعَةُ.

وجاء في حديث آخر أن المسيح الدجّال يأتي من قِبَلِ المشرق وهِمَّتُهُ المدينةُ حتى ينــزلَ دُبُرَ أُحُدٍ، ثم تَصرِفُ الملائكةُ وجهَه قِبَلَ الشّامِ، وهنالك يَهْلِكُ ولا يدخل المدينة رعبُه، لها يومئذ سبعةُ أبوابٍ على كل باب ملَكانِ، ويمكث في الأرض أربعين سنة، ويخرج

على حمار أقمر ما بين أذنيه سبعون باعا. وينـــزل عيسى حَكَمًا عَدْلاً، فليكسرّن الصليب ويقتلنّ الخنـــزير ويضع الحرب. ولَيُترَكُنَّ القِلاصُ فلا يُسعَى عليها. ولا تزال طائفة من المسلمين يُقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة. فينـــزل عيسى فيتزوج ويولد له.

وجاء في أحاديث أخرى أن الدجّال كان موجودا حيًّا في زمان رسول الله ﷺ وقد رآه تميم الداري. **وحدّث** رسول الله ﷺ أنه ركب في سفينة بحرية مع ثلاثين رجلا من لخم وجذام، فلعب بهم الموج شهرا في البحر، فأرفأوا إلى جزيرة حين تغرب الشمس، فجلسوا في أقرب السفينة فدخلوا الجزيرة، فلقيتْهم دابّةٌ أهلَبُ كثيرُ الشعر لا يدرون ما قُبُله مِن دُبُره مِن كثرة الشعر. قالوا: ويلك ما أنت؟ قالت: أنا الجسّاسة. انطلِقوا إلى هذا الرجل في الدير، فإنه إلى خبركم بالأشواق. قال: لما سمّتْ لنا رجلا فَرِقْنا منها أن تكون شيطانة. قال: فانطلقنا سراعًا حتى دخلنا الدير، فإذا فيه أعظمُ إنسان رأيناه قط خَلْقًا وأشدّه وثاقةً، مجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد. قلنا: ويلك ما أنت؟ قال: قد قدرتم على خبري، فأخبروني ما أنتم؟ قالوا نحن أناس ركِبنا في سفينة بحرية، فلعب بنا البحر شهرا، فدخلنا الجزيرة، فلقيتْنا دابّةٌ أهلَبُ فقالت: أنا الجساسة، اعمدوا إلى هذا في الدير، فأقبلنا إليك سراعا. فقال: أخبِروني عن نخل بيسان[1]، هل تثمر؟ قلنا: نعم. قال: أما إنها توشك أن لا تثمر. قال: أخبِروني عن بحيرة الطبرية.. هل فيها ماء؟ قلنا: هي كثيرة الماء، قال: إن ماءها يوشك أن يذهب. قال: أخبِروني عن عين زغر.. هل في العين ماء، وهل يزرع أهلها بماء العين؟ قلنا: نعم هي كثيرة الماء وأهلها يزرعون. قال: أخبِروني عن نبي الأُمّيّين ما فعل؟ قلنا: قد خرج من مكة ونزل يثرب. قال: أقاتَلَه العرب؟ قلنا: نعم. قال: كيف صنَع بهم؟ فأخبرناه أنه قد ظهر على من يليه من العرب وأطاعوه. قال: أما إن ذلك خير لهم أن يطيعوه. وإني مخبركم عني.. إني أنا المسيح، وإني يوشك أن يؤذن لي في الخروج، فأخرج فأسير في الأرض، فلا أدَع قرية إلا أهبطها في أربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان عليّ كلتاهما، كلما أردت أن أدخل واحدا منهما استقبلَني ملَكٌ بيده السيف صلتًا يصدّني عنها، وإن على كل نقب

منها ملائكة يحرسونها. ثم قال رسول الله ﷺ: ألا إنه في بحر الشام أو بحر اليمن لا بل من قبل المشرق ما هو، وأومأ بيده إلى المشرق. **رواه مسلم**.

أقول هذا ما جاء في الأحاديث مع اختلافات وتناقضات، فذهب وَهْلُ بعض الناس بل أكثرهم إلى أن تلك الأخبار والآثار محمولة على ظواهرها، والحق أنهم قد أخطأوا خطأً كبيرا، وكان هذا ابتلاءً من الله تعالى ليعلم الصابرين المؤمنين منهم والمكذبين المستعجلين.

وأنت تعلم أن الله تعالى قد يُوحي إلى أنبيائه ورسله في حُلل المجازات والاستعارات والتمثيلات، ونظائره كثيرة في وحي خير الرسل ﷺ، منها ما جاء في حديث **أنس** رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: رأيتُ ذاتَ ليلة فيما يرى النائم كأنّا في دار عقبة بن رافع، فأتينا برُطب من رطب ابن طاب. فأوّلتُ أن الرفعة لنا في الدنيا والعافية في الآخرة، وأن ديننا قد طاب.

ومنها ما جاء في حديث **أبي موسى** قال: قال رسول الله ﷺ: رأيتُ في رؤياي أني هززتُ سيفا فانقطع صدره، فإذا هو ما أُصيبَ من المؤمنين يومَ أُحُد، ثم هززتُه أخرى فعادَ أحسنَ ما كان، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين.

فانظر كيف رأى رسول الله ﷺ الكيفيات الروحانية في الصور الجسمانية. ولا يخفى عليك أن **رؤيا** الأنبياء وحيٌ، فثبت من ههنا أن وحي الأنبياء قد يكون من نوع المجاز والاستعارة، وقد أوّلَ رسولُ الله ﷺ مثلَ ذلك الوحي، وتأويلاته كثيرة كما في رؤية سِوار الذهب والقميص والبقر وغيرها من الرؤيا التي هي مشهورة في القوم، فلا حاجة إلى أن نقصّ عليك.

وقد رأى رسول الله ﷺ في رؤيا أخرى الدجّالَ المسيح واضعًا يديه على منكبَي رجلين يطوف بالبيت. فلو حملْنا تلك الوحي على الظاهر لوجب أن يكون الدجّال مسلما مؤمنا لأن الطواف من شعائر المسلمين.

ثم إن هذه الأحاديث تدل على أن الدجّال كان موجودا في زمان النبي ﷺ وقد رآه تميم الداري، وزعم القوم أنه يخرج في آخر الزمان، ولا يدَع قرية إلا يدخلها، ويتملك ويتسلّط على البلاد كلها، ولا تبقى في زمانه أرض إلا يأخذها غير مكة وطيبة. ولكن

الأحاديث الأخرى تعارضها وتكذّب هذه القصص. فانظرْ أوّلاً تدبرًا وإنصافا في حديث **مسلم** عن جابر قال: سمعت النبي ﷺ يقول قبل أن يموت بشهر: تَسْأَلُونِي عَنِ السَّاعَةِ؟ وَإِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللّهِ. وَأُقْسِمُ بِاللّهِ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ يأْتِي عَلَيْهَا مِئَةُ سَنَةٍ وهي حيّةٌ يومئذ. **وعن** ابن مسعود: لا يأتي مئة سنة وعلى الأرض نفسٌ منفوسة اليوم. رواه مسلم، وهكذا ذكر **البخاري** في صحيحه، والمضمون واحد لا حاجة إلى الإعادة. فوجب من هذا على كل مؤمن أن يؤمن بموت الدجّال بعد المئة من زمان رسول الله ﷺ، وإلا فكيف يمكن التخلف فيما قال رسول الله ﷺ بوحي من الله تعالى مؤكدًا بقَسمه؟ والقَسم يدل على أن الخبر محمول على الظاهر لا تأويل فيه ولا استثناء، وإلا فأي فائدة كانت في ذكر القَسم؟ فتدبَّرْ كالمفتّشين المحقّقين.

وأما تطبيق هذين الحديثين فلا يمكن إلا بعد تأويل حديث الدجّال وجعلِه من قبيل الاستعارات، فنقول إن حديث خروج الدجّال يدل على خروج طائفة الكذّابين في آخر الزمان من قوم النصارى، وفي الحديث إشارة إلى أنهم يُشابهون آباءهم المتقدمين في مكرهم وخديعتهم وأنواع فتنهم وحرصهم على إضلال الناس كأنهم هم، إلا أن آباءهم كانوا مقيَّدين بالسلاسل والأغلال، ولكن هؤلاء يخرجون من ذلك السجن، ويضع الله عنهم أغلالهم، فيعيثون يمينا وشمالا ويفسدون في الأرض، وكان خروجهم بلاءً عظيما لأهل الأرضين. فكما أن تميما رأى الدجّال في زمان النبي ﷺ بالرؤية الكشفية الصادقة التي كانت من قبيل عالم المثال.. مجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد في الدير، فكذلك كانت النصارى في زمن إقبال الإسلام مقهورين مغلوبين غُلّت أيديهم قاعدين في الدير، ثم أُخرجوا بعد المئتين والألف ووضَع الله عنهم الأغلال والسلاسل، وخلع عليهم خلعة العلوم الأرضية ابتلاءً من عنده، فأشاعوا الفتن في الأرض بأيدي مبسوطة، وكان قدرًا مقدورًا من ربّ العالمين. وإلى خروجهم إشارة في حديث: الآيات بعد المئتين، يعني بعد المئة والألف، وإشارة إلى نزول المسيح الذي هو مفحِمُ المفسدين.

ثم بعد ذلك إذا نظرنا إلى **كلام الله** تعالى فوجدناه أيضا مخالفا لظواهرِ أحاديثِ خروج الدجّال، وما وجدنا فيه احتمالا ضعيفا وإشارة وهمية إلى ذلك، بل هو يجوح هذه

الخيالاتِ بالاستئصال التام. ألم يكفِ لطالب قولُه تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾؟ ولا يخفى على المتدبر أن هذه الآية دليل قطعي على أن المسلمين والنصارى يرثون الأرض ويتملكون أهلها إلى يوم القيامة، لأن المسلمين اتبعوا المسيح اتّباعًا حقيقيا، والنصارى اتبعوه اتّباعًا ادّعائيا. وقد وقع في الخارج كما قال الله تعالى، وكانت الكَرّة الأولى للمسلمين في غلبتهم على الأرض، ثم في زماننا هذا غلبت النصارى ونسلوا من كل حدب. فوقع كما أُخبر عنه في الآية الكريمة، فالآية تحكم أن التملّك والغلبة محدود في المسلمين والنصارى إلى يوم القيامة، والدجّال المعهود المتصوَّر في أذهان المسلمين لا يكون على عقيدة النصارى ولا على عقيدة أهل الإسلام، بل هو بزعمهم يخرج بادّعاء الألوهية ويقول إني إله من دون الله، ويغلب أمره على الأرض كلها غير مكة وطيبة، فهذا يُخالف نص القرآن الكريم لأن القرآن، كما ذكرت آنفا، قد وعد لمتّبعي عيسى ابن مريم عليه السلام وعدًا مؤكّدًا بالدوام وقال: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. ومعلوم أن الدجّال الذي ينتظره قومُنا هو بزعمهم ليس مِن متّبعي عيسى عليه السلام، ولا يؤمن بالمسيح ولا بإنجيله، وما ذهب أحد من علماءِ المسلمين إلى أنه يؤمن بعيسى ابن مريم، بل يقولون إنه يقول إني أنا الله، ولا يؤمن بالله ولا بأحد من الأنبياء، فالقرآن لا يجوِّز له موضعَ قدم في زمان من الأزمنة، بل يخبر عن غلبة المسلمين أو غلبة النصارى إلى يوم القيامة. فأيُّ دليل يكون أوضح من هذا على إبطال وجود الدجّال المفروض، وعلى ثبوت كذب قول القائلين؟ وأنت تعلم أن القرآن يقيني قطعي وليس كمثله حديث في التواتر وحفظِ الحق وعصمتِه، فافهَمْ إن كنت من الطالبين.

وأما قول بعض العلماء أن الدجّال يكون من قوم اليهود.. فهذا القول أعجب من القول الأوّل، لا يقرأون في القرآن آية: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِم الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ﴾، فالذين ضرب الله عليهم إلى يوم القيامة كل ذلة، وأخبر في كتابه الكامل المحكم أن اليهود يعيشون دائما تحت ملِكٍ من الملوك صاغرين مقهورين ولا يكون لهم مُلك إلى الأبد، كيف يخرج منهم الدجّال ويملك الأرض كلها؟ ألا إن كلمات الله صادقة لا تبديل لها، ولكن القوم

ما علموا معاني الأحاديث وما فهموها حق فهمها، والله يمنّ على من يشاء من عباده فيُفهّمه ما لم يُفهِّم أحدا من العالمين.

وسمعتُ أن بعضهم ينظرون لفظ النــزول في قصة نزول المسيح، ويعجز عن درك هذه النكتة فَهْمُهم، وتضمحلّ طبائعهم وتلغب أفكارهم، فيحسبون بآرائهم السطحية أن عيسى بن مريم ينــزل من السماء، ولا يرون أن القرآن قد اختار لفظ النــزول في مقامات شتى وقال: ﴿وأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾، ﴿وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الأَنْعَامِ﴾، ﴿قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾. ومعلوم أن الحديد لا ينــزل من السماء بل يتكوّن في المعادن، وكذلك يتولد الحمير من الحمير والخيل من الخيل، وما رأى أحد من الناس أن هذه الحيوانات تنــزل من السماء، وكذلك الألبسة تُتّخذ من القطن والصوف والجلود والحرير، وهذه الأشياء كلها تكون في الأرض ولكن بحكم ربّ السماوات، ولو اجتمع أهل الأرض جميعا على أن يخلقوا هذه الأشياء بقوهم وتدبيرهم لم يستطيعوا أبدا، فكأنها نزلت من السماء. وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلا عِنْدَنَا خَزَآئِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾، فكل شيء منــزَّل من السماء بقدر معلوم بتوسُّط علل وأسباب أرضية وسماوية اقتضتها حكمة الله تعالى، فتبارك الله أحسن الخالقين.

وللنــزول معنى آخر وهو الارتحال من مكان والنــزول في مكان آخر كما جاء في حديث مسلم أن المسيح الدجال ينــزل دُبُرَ أُحد، وعيسى ينــزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق. والعجب من القوم أنهم يفهمون من نزول عيسى نزوله من السماء ويزيدون لفظ "السماء" من عندهم، ولا تجد أثرا منه في حديث. وأما ما ذُكر في قصة نزول عيسى أنه ينــزل واضعا كَفَّيْه على جناحي الملائكة، فليس هذا اللفظ دليلا على نزوله من السماء، وقد جاء مثل هذا اللفظ في فضائل الذي يخرج مِن بيته لطلبِ علم الدين، وكذلك نظائره كثيرة في الأحاديث، ولو لم يكن خوفُ طول المكتوب لذكرتُ كلها. بل الحق الذي كشف الله عليّ أمرٌ يقبَله كل مؤمن طالب الحق، ولا يأبى إلا الذي لا يتخذ سبيل المهتدين، وهو أن نزول المسيح عند المنارة البيضاء شرقيَّ دمشق واضعًا كَفَّيْه على أجنحة ملَكينِ إشارةٌ إلى شيوع أمره في بلاد الشام خالصًا من العلل السماوية، منــزّهًا عن دخل الأسباب الأرضية، وعن دخل سلطانها ودولتها

وعساكرها وأفواجها ومسّ تدابيرها، بل يعلو أمره بحماية الله وجنده السماوية، كأنه نزل على أجنحة الملائكة. وأمّا الدجّال فيخرج بالحِيَل الأرضية والتدابير المنحوتة من عند نفسه، والتلبيسات التي تجدد في كل حين.

وإني سمعت أن بعض علماء هذه الديار يقولون إن جملة: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ مؤخَّرة من جملة: ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ ومقدَّمة من جملة: ﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ ومن جملة: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ﴾، ولكن أنت تعلم يا أخي أن هذا التأويل باطل بالبداهة ومستنكر جدا، لأن الأمر لو كان كذلك لوجب أن يموت المسيح بعد الرفع وقبل هذه الواقعات التي ذكرها القرآن بعد ذكر الرفع.. يعني قبل تطهير ذيله من بهتانات اليهود وقبل جعلِ متّبعيه الغالبين على الذين كفروا، وهم يعتقدون بأن المسيح ما مات إلى هذا الزمان، وقد تمت هذه المواعيد كلها ووقعت بأسرها. فالعجب من عقلهم لِمَ يقولون على خلاف ما يعتقدون، وقد اتفقوا على أن المسيح لا يموت بعد الرفع فقط بل بعد الرفع وبعد تطهير ذيله من بهتانات اليهود ببعث خاتم النبيين وبعد غلبة متّبعيه على الذين كفروا، فعلى هذا يلزمهم أن يعتقدوا بأن جملة: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ مؤخرة من جملة: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ﴾، فلزمهم أن يقولوا إن ترتيب الآيات كان في الأصل هكذا.. أعني يا عيسى إني رافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، ثم بعد القيامة منـــزلك من السماء ثم متوفيك. فلا سبيل لهم إلى تحريف هذه الآيات وتقديمها وتأخيرها من عند أنفسهم إلا أن يقولوا إن المسيح لا ينـــزل ولا يموت إلا بعد يوم القيامة. وهذا خُلْف.

فيا حسرة عليهم! لِم يحرّفون كلم الله عن مواضعها مع عجزهم عن وضعها في موضع آخر؟ وذلك من إعجازات القرآن أن مُحرِّف آياته لا يستطيع أن يُحرّف ويُبدّل ترتيبَه المحكم المرصّع الأبلغ، فينكشف كذبُه على النساء والصبيان فضلاً عن العلماء الراسخين، فسبحان من أنزل القرآن بإعجاز مبين.

والعجب من قومنا أنهم كانوا يقرأون في البخاري وغيره من الصحاح أن المسيح الموعود من هذه الأمة وإمامهم منهم، ولا يجيء نبي بعد رسول الله ﷺ وهو خاتم النبيين، وما

كان لأحد أن ينسخ القرآن بعد تكميله، ثم نسوا كل ما علموا وعرفوا واعتقدوا وضلّوا وأضلّوا كثيرا من الجاهلين.

وأما الاختلافات التي توجد في هذه الأحاديث فلا يخفى على مهرة الفن تفصيلها، وقد ذكرنا شطرًا منها في رسالتنا: "الإزالة"، فليرجع الطالب إليها. وقد جاء في حديث أن المسيح والمهدي يجيئان في زمن واحد، وجاء في حديث آخر أنه لا مهدي إلا عيسى، وجاء في حديث أن المسيح والمهدي يتلاقيان ويُشاور المهدي المسيح في مهمات الخلافة، ويكون زمانهما زمانا واحدا. وفي حديث آخر أن المهدي يُبعث في وسط قرون هذه الأمة والمسيح ينـــزل في آخرها، وفي حديث من البخاري أن المسيح يجيء حكمًا عدلاً فيكسر الصليب.. يعني يجيء في وقت غلبة عبدة الصليب فيكسر شوكة الصليب ويقتل خنازير النصارى. وفي حديث آخر أنه يجيء في وقت غلبة الدجّال على وجه الأرض فيقتله بحربته.

فاعلم أن هذا المقام مقام حيرة وتعجُّب للناظرين. وتفصيله أن مجيء المسيح لكسر صليب النصارى وقتل خنازيرهم يشهد بصوت عال على أن المسيح الموعود لا يجيء إلا في وقت غلبة النصارى على وجه الأرض وتسلُّطهم عليها وشيوع المذهب الصليـــبي في جميع أقطار العالم بالشوكة التامة والقوة الكاملة وحماية السلطنة والدولة. ثم إذا نظرنا إلى أحاديث **خروج** الدجّال فنجد فيها كأن المسيح لا ينـــزل إلا في وقت غلبة الدجّال على وجه الأرض، وإنّا إذا صدّقنا حديث مجيء المسيح عند تسلُّط النصارى على وجه الأرض واعتقدنا بأنه يجيء لكسر صليب النصارى واستئصال شوكة مذهبهم، فيلزم من ذلك أن نكذّب حديثًا آخر الذي يدلّ على أن المسيح يأتي لقتل الدجّال عند غلبته على وجه الأرض كلها غير مكة وطيبة، فإن تسلُّط الدجّال على وجه الأرض كلها وتسلُّط النصارى على وجه الأرض كلها في زمان واحد نقيضانِ متخالفان، ومعلوم أن النقيضين لا يجتمعان في وقت واحد ولا يرتفعان، فثبت بالضرورة أن من هذين الخبرين خبر حق وخبر باطل.

ثم إذا نظرنا إلى الواقعات الموجودة فوجدنا حكومة النصارى قد أحاطت كالدائرة على أهل الأرضين، ونرى أن السلاطين كلهم يرتعدون من هولهم، وقد ظهرت[2] على

قلوبهم خوف وانحجام واعتقدوا بأنهم عليهم غالبون. ولكنا لا نرى من الدجّال الموهوم المتصوَّر في خيالات القوم أثرا ولا علامة، **ونرى** أن فتن النصارى قد تكاثرت وامتلأت الأرض من مكائدهم، فهذا دليل واضح على أن المعنى الصحيح نزول المسيح عند غلبة النصارى على أهل الأرض، ولا سبيل إلى تطبيق هذه الأحاديث المتعارضة إلا أن نقول أن قسيسي النصارى هم الدجّال المعهود، ووجب علينا أن نفسر الأحاديث بنحوٍ ظهرت معانيها في الخارج، فإن الأحاديث التي ذكرناها آنفا كان بعضها قائدا إلى أن المسيح ينـــزل عند شوكة النصارى وشوكة صليبهم وتسلُّطهم في الأرض، وكان بعضها قائدا إلى أنه لا ينـــزل إلا في وقت خروج الدجّال وتسلُّطه على وجه الأرض كلها، فرأينا آثار القائد الأول ووجدناها واقعة في زماننا، **ونرى** أن أخبار شوكة الصليب قد تمت ووقعت كلها كما أخبر عنها رسول الله ﷺ حتى رأيناها بأعيننا، وأما القائد الذي كان مخالفا لها ومعارضا لمعانيها، أعني حديث خروج الدجّال فما ظهر أثر منه، فالذي ظهر من المعنيين هو الحق، والذي ما ظهر من المعنيين هو الباطل الذي أخطأ فيه نظر المتفكرين.

ومن الاختلافات العظيمة في أحاديث هذا الباب أن بعض الأحاديث يدل على أن المسيح لا يأتي إلا تابعا ومطيعا للمهدي، فإن الأئمة من قريش والمسيح ليس من قريش، فلا يجوز أن يستخلفه الله لهذه الأمة، وبعضها يدل على أن المسيح يأتي حَكَمًا عَدْلاً وإمامًا وخليفةً من الله تعالى، وكل الأمر يكون في يديه، ولا يتبع أحدا إلا وحيَ الله الذي ينـــزل عليه إلى أربعين سنة، فينسِخ بوحيه بعضَ أحكام الفرقان ويزيد بعضا ويختم الله به النبوة والوحي ويجعله خاتم النبيين. ومع هذا يقولون إن وحيه لا يُعارِض وحيَ القرآن، ويصلّي المسيحُ كما يصلّي المسلمون، ويصوم كما يصومون، ولكنهم عند هذا القول ينسون قولهم الأول الذي قد صُرِّحَ فيه أن المسيح ينسخ بعض أحكام الفرقان، فيضع الجزيةَ، وما وضَع القرآن الجزية قط حتى تم وكمل ونزل آية: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾ وكذلك قالوا إن المسيح يقتل الخنـــزير، وما نرى في القرآن حُكمًا لقتل خنازيرِ أهل الأرض، بل منَع من تضييع أموال الذِّمّيين ونهبِ أملاكهم بعد أن أعطوا الجزية صاغرين.

والعجب أن هذه العلماء آمنوا بأن الله تعالى يوحي إلى المسيح إلى أربعين سنة، وكانوا يعتقدون من قبل بأن وحي النبوة قد انقطع. فيا حسرة عليهم! إنهم يعلمون مَضارَّ عقائدهم ثم لا يتركونها وأراهم كالنائمين. وأعجبني أنهم يجمعون في عقائدهم اختلافات عجيبة ولا ينظر أحد منهم إلى هذه التناقضات. يؤمنون بعقيدة.. ثم يرجعون ويؤمنون بعقيدة أخرى تخالف الأولى وتعارِضها، مثلا.. إنهم يؤمنون باليقين التام أن المسيح يأتي حَكَمًا عَدْلا، والناسُ يحكّمونه ويرفَعون إليه مشاجراتهم، ويجعله الله خليفة في الأرض، ثم يقولون إن عيسى ينـــزل تابعا للمهدي، والحَكَمُ العَدْلُ هو المهدي لا عيسى الذي ليس من **قريش**. ويقولون إن هذا الأمر من الواقعات الحقة.. أن عيسى ينـــزل عند غلبة النصارى واستيلائهم على وجه الأرض، ونسلهم من كل حدب، فيكسر صليبهم ويقتل خنازيرهم، ثم يرجعون ويقولون إن المسيح لا ينـــزل إلا عند خروج الدجّال، ويقولون إن الدجّال ليس من الذين اتبعوا أناجيل النصارى وآمنوا بأنبيائهم وكتبهم ودياناتهم، بل هو رجل لا يتبع عيسى ولا يؤمن بنبي من الأنبياء، بل يخرج بادّعاء الألوهية، ويملك الأرض كلها غير مكة وطيبة، ويقول إني أنا الله رب العالمين. **فانظرْ** كيف يسلكون مسلك السكارى، ولا يثبتون على قول، وما لهم على عقيدة من قرار، ولا يتدبرون كالعاقلين.

وإني **أرى** أن الله سلَب عنهم قوة الفيصلة، ونزَع منهم طاقة الآراء الصحيحة، وتركَهم في ظلمات الغيّ هائمين. **والسر في ذلك** أنه ما رآهم حرِيًّا بالأسرار الإلهية، ورأى رؤوسهم خالية من القوى المدرِكة الفاطنة، فنـــزَع منهم حُلل الإنسانية، وردَّهم إلى صور البهائم والسباع والأفاعي، وألحقَهم بالسافلين.

والذين أُوتوا أُكُلَ المعارف غضًّا طرِيًّا، ورُزقوا من العلوم الصادقة حظا وافرا، فما جهلوا الطريق، وما نسوا المشرب، وأصابوا في فهم آيات الله، وما ضاع من أيديهم علم الروحانيين. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، يضل من يشاء ويهدي من يشاء إلى بحر لا ساحل له، واللهُ يعلم حيث يجعل فضله، ولا يخفى عليه قلبٌ ولا شاكلة، وقد خلَق الناس وهو يعلم حقيقة العالمين.

ولنرجعْ إلى ذكر الأحاديث فنقول إن الذين حملوا أنباءها المستقبلة على معانيها الظاهرة مع تعارُضها بالقرآن، فقد أخطأوا خطأ كبيرا، وكان سببُه استغراقَهم في الآثار والذهولَ عن كلام الله تعالى، فصارت أنظارهم مغمورة في الأخبار، وأفكارهم مبذولة في تنقيدها وتمييزها، وأنفدوا أعمارهم فيها، وأضلّوا أنفسهم في سككها، وما التفتوا إلى صحف الله واستنباط مسائلها. فبقِي الفرقانُ كالمستتر من أعينهم، وبقيتْ أسراره كالدرر المكنونة أو الخزائن المدفونة، ما عرفوها وما رعوها حق رعايتها، وأكبّوا على كتب أخرى كالمعرضين. ولو أنهم تَوجّهوا إلى القرآن لكشَف الله عليهم سِرَّ كل حقيقة ونجّاهم من براري الشبهات، ولكنهم ما شاؤوا أن يُنوَّروا واختاروا العَمى وعادَوا قوما مُنوَّرين.

فمِن أعظم خطيّاتهم أنهم لم يفهموا حقيقة المسيح الموعود الذي أُخبِروا عنه، وقالوا إن عيسى بن مريم عليه السلام ينـــزل من السماء، وقد كانوا يقرأون في القرآن **أنه تُوُفِّيَ ولحِق بإخوانه** الذين خلوا من قبله، فنسوا ما كانوا يعلمون واتبعوا ما قيل بعد المِئتين، ونبذوا آياتِ الله وراء ظهورهم كأنهم ما وجدوا في القرآن أثرا من أخبار وفاة المسيح وكأنهم كانوا من الغافلين.

وإذا قيل لهم أن الله قد أخبر عن وفاة المسيح في آياته المحكمات وقال: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾، وقال حكاية عنه: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾، وقال: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾، قالوا نؤمن بقصص القرآن والأحاديثُ **قاضيةٌ** عليه وعلى قصصه. فانظرْ كيف يتركون القرآن مع كونهم من المسلمين.

والعجب منهم أنهم يظنون أن الأحاديث تشهد على نزول المسيح من السماء مع أن رسول الله ﷺ أخبر غير مرة عن وفاة المسيح، فقال في حديث كما جاء في الطبراني والمستدرك عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ في مرضه الذي تُوُفِّيَ فيه لفاطمة: إن جبريل كان يُعارضني القرآن كل عام مرة، وإنه عارَضني بالقرآن العامَ مرتين، وأخبرَني أنه لم يكن نبي إلا عاش نصفَ الذي قبله، وأخبرني أن عيسى بن مريم عاش عشرين ومئة سنة، فلا أراني إلا ذاهبا على رأس الستين. واعلموا أيها الإخوان أن هذا الحديث صحيح ورجاله ثقات وله طرق، وهو يدل بدلالة صريحة على موت المسيح.

ولا يُقال إن الرفع هو الموت، **فإن الموت** عبارة عن **خروج الروح** عن الجسم العنصري، فإن كان المسيح رُفِع بجسمه العنصري فهو حيٌّ إلى الآن، فلو فُرض حياة المسيح إلى هذه الأيام للزم أن يكون نبيّنا حيًّا إلى نصف هذه المدة، وهذا باطل فاسألِ العادّين.

وكذلك أخبر رسول الله ﷺ عن موت عيسى عليه السلام في حديث آخر وقال: إذا سألني ربي عن فساد أمتي فأقول في جوابه: فلما تَوَفّيتَني كنتَ أنت الرقيبَ عليهم، كما قال العبدُ الصالح مِن قبلي.. يعني عيسى عليه السلام. فانظرْ كيف أشار إلى وفاة المسيح بحيث استعمل لنفسه جملة: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ كما استعمله المسيح لنفسه. وأنت تعلم أن رسول الله ﷺ قد تُوُفّي وقبرُه المبارك موجود في المدينة. فانكشف معنى التوفّي بجعل رسول الله ﷺ واقعةَ المسيح وواقعةَ نفسه واقعةً واحدة، وظهَر أن معنى التوفّي في آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ الإماتةُ لا غيرها من المعاني المنحوتة التي لا أصل لها في لغة العرب، فإن رسول الله ﷺ قد مات، ولو كان معناه الرفع إلى السماء حيًّا مع الجسم العنصري كما هو زعم القوم لرُفِعَ إذًا نبيُّنا ﷺ إلى السماء حيًا مع الجسم العنصري، فإنه جعَل نفسه شريكَ عيسى عليه السلام في لفظ التوفي الذي يوجد في آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ كما جاء في حديث البخاري. ولو جعلنا من عند أنفسنا للمسيح معنى خاصا في هذه الآية وقلنا إن التوفي في حق رسولنا ﷺ هو الوفاة، ولكن في حق عيسى عليه السلام أُريدَ منه الرفع مع الجسم العنصري لا شريك له في هذا المعنى، فهذا ظلمٌ وزور وخيانة شنيعة، وترجيح بلا مرجّح، واستخفاف في شأن رسول الله ﷺ، وادّعاء بلا دليل واضح وحجةٍ ساطعة وبرهان مبين.

ويقولون إن **يأجوج ومأجوج** يخرجون في زمن المسيح، وينسِلون مِن كل حَدَب، ويملكون الأرض كلها كما ورد في القرآن العظيم، فهذا حق لا نُجادِلهم فيه. ويقولون إن المسيح لا يُحاربهم بل يدعو عليهم، فيموتون كلهم بدعائه بدُودٍ تتولد في رقابهم، وهذا أيضا حق وليس عندنا إلا التسليم. ولكنهم أخطأوا فيما قالوا إن يأجوج ومأجوج يموتون في زمن عيسى كلهم، فإن يأجوج ومأجوج هم النصارى من الروس والأقوام البرطانية[3]، وقد أخبر الله تعالى عن وجود النصارى واليهود إلى يوم القيامة وقال:

﴿فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾، فكيف يموتون كلهم قبل يوم القيامة؟ فلو أردنا من الإماتة الإماتةَ الجسمانية لخالفَ الحديثُ القرآنَ وعارَضَه، فإن القرآن يخبرنا عن بقائهم وبقاء نسلهم إلى يوم القيامة، بل يشير إلى أن السماوات يتفطرن عليهم وتقوم القيامة على أشرارهم الباقين. ومن ههنا ظهر أن الجملة: "**يضَع الجزيةَ**" التي جاءت في بعض نسخ البخاري ليست بصحيحة، والصحيح أن المسيح يضع الحربَ ولا يحارب النصارى كما جاء في نسخ أخرى. ووجهُ عدمِ صحتها ظاهرٌ، وهو أنّا لو فرضنا أن المسيح يحارب النصارى على شرط قبول الإسلام ولا يقبل الجزية أصلاً بل يدعو إلى الإسلام، وإن قبلوا وإلا فيقتلهم، فلزم على تقدير صحة هذا المعنى استئصالُ النصارى بالكلية من وجه الأرض.. إما مِن سبب إسلامهم وإما من سبب قتلهم، وهذا المعنى يُعارض القرآن الكريم، فإنه أخبر عن بقاء وجودهم إلى يوم القيامة، فثبت من هذا التحقيق أن جملة "يضع الجزية" التي توجد في بعض نسخ البخاري ليست بصحيحة، وقد فسدت وحُرِّفت مِن نَسْخِ الناسخين.

ومع ذلك ظهر من هذا التحقيق بطلان أحاديث يوجد فيها ذكرٌ كمثله من المحاربات والغزوات، فإن القرآن محفوظ بحفاظة الله وعصمته، فالحديث الذي يُعارض قصصَه لا يُقبَل أبدًا ولو كان ألفٌ كمثل تلك الأحاديث في البخاري أو غيره من كتب المحدِّثين.

وأما قولنا إن يأجوج ومأجوج من النصارى لا قوم آخرون فثابتٌ بالنصوص القرآنية، لأن القرآن الكريم قد ذكر غلبتهم على وجه الأرض وقال: ﴿مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾، يعني يملكون كلَّ رفعة في الأرض، ويجعلون أعزّةَ أهلها أذلّةً، ويبتلعون كلَّ حكومة ورياسة وسلطنة ودولة ابتلاعَ الحوت العظيم الصغارَ. وإنّا نرى بأعيننا أنهم كذلك يفعلون، واضمحلّت رياسات المسلمين، وتطرّقَ الضعف في دولتهم وقوتهم وشوكتهم، ويرون سلاطينَ النصارى كالسباع حولهم، ولا يبيتون إلا خائفين. وقد ثبت من النصوص القوية القطعية القرآنية أن كأس السلطنة والغلبة على وجه الأرض تدور بين النصارى والمسلمين، ولا تتجاوزهم أبدا إلى يوم القيامة، كما قال الله تعالى: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾. ومعلوم أن المتبعين للمسيح في الحقيقة المسلمون، والمتبعين بالادعاء النصارى، والآية تشير إلى الاتّباع فقط حقيقيًّا كان أو

ادّعائيًّا. والحق أن الاتّباع الحقيقي عسير جدا ولو كان مدّعي الاتّباع ملِكًا من المسلمين المؤمنين، فإن اتّباع الأنبياء على وجه الحقيقة والكمال ليس بهيّنٍ، فكلٌّ من الملوك يتّبع عيسى عليه السلام باتّباعٍ ادّعائي وإن كانت فيه رائحة من الحقيقة إلا ما شاء الله. نعم قد سبق المسلمون في الاتّباع الاعتقادي وفهِموا تعليم المسيح كما هو هو، وهُمْ ورثاؤه في عقائد التوحيد بعد وفاته، وأما النصارى فضلّوا ضلالا كبيرا، وليس في يدهم إلا ادّعاء فقط. انظرْ إلى ضلالتهم وفسادهم.. أنهم قد آمنوا بأن عيسى عليه السلام كان يأكل الطعام ويشرب الماء، وربما ابتُليَ بأمراض وأوجاع، وربما غلَب عليه الهمُّ والخوف والقلق والكرب والجوع والعطش، وكان لا يعلم الغيب، وكان يقول إني عبد ليس في نفسي خير إلا بتوفيق الله، وأنه أُخِذَ وصُلِبَ ومات، وهو مع ذلك في زعمهم إلهٌ وابنُ إله. قاتلَهم الله! إنهم يعتقدون بأنه إنسان ونبي، فيه سهوٌ وخطأ وضعف وجهل، وأخذه الموت، ولا يبرّئونه من ضعف وذهول ونسيان، ثم يقولون إنه هو الله، فتعسًا لقوم كافرين. ولكنهم ما قالوا إنّا نحن بريئون من عيسى ولا نتّبعه، بل آمنوا بنبوته وكتابه، وآمنوا بأنبياء بني إسرائيل وكتبهم، وآمنوا بالملائكة والجنة والنار، فهذا هو السبب الذي أدخلهم الله في المتّبعين الضالّين، وبشّرهم بغلبةٍ على الأرض كما بشّر المسلمين.

فالحاصل أن هذه الآية.. يعني: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ﴾ دليل صريح وبرهان واضح على أن القوة والغلبة والشوكة والتسلط الكامل الفائق على وجه الأرض لا يُجاوز هذين القومين: النصارى والمسلمين، وتَداولُ الحكومة التامة بينهم إلى يوم القيامة، ولا يكون لغيرهم حظا منها، بل تُضرَب على أعدائهم الذلة والمسكنة، ويذوبون يوما فيوما حتى يكونوا كالفانين. فإذا كان الأمر كذلك فوجب أن تكون الحكومة والقوة متداولة بين هذين القومين إلى الدوام ومخصوصة بها، فلزم بناءً على هذا أن يكون يأجوج ومأجوج إما من المسلمين وإما من المتنصرين. ولكنهم قوم مفسدون بطّالون، فكيف يجوز أن يكونوا من أهل الإسلام؟ فتقرَّرَ بالقطع أنهم يكونون من النصارى وعلى دين النصارى. وقد جاء في حديث مسلم أن المسيح لا يُحارب يأجوج ومأجوج، وجاء في البخاري أنه يضع الحرب، يعني لا يُحارب النصارى. فثبت أن يأجوج ومأجوج هم النصارى، وثبت أن المسيح الموعود

لا يُحاربهم، بل يسأل اللهَ نُصْرتَه في ساعة العسر وهو خير الناصرين. وثبت من ههنا أن المسيح الموعود يأتي عند غلبة النصارى على وجه الأرض، ويدخل مِن باب الرفق للإصلاح كما دخلوها للإفساد، ولا يرفع السيفَ عليهم لأنهم ما رفعوه للدين، ويُجادلهم بالحكمة والموعظة الحسنة، ولا يقتُل الغافلين المعتدين.

وأمّا ما جاء في حديث **مسلم** أن نُشّاب يأجوج ومأجوج وقسيّهم تُحرَق كالوقود ويستوقدها المسلمون، فهذا تحريف آخر في الحديث، فإن القسيّ والسهام قد انعدمت وذهَب وقتُها وقامت الأسلحة النارية مقامها، فتقبَّلْ إن شئتَ أو أعرِضْ كالمنكرين. منه

==================

❶**حاشية:** هذه الأخبار الغيبية تدل على أن هذا الحديث ليس من رسول الله ﷺ، لأنه يُعارض القرآن ويُخالف محكماته. وكيف يمكن أن يقدر الدجّال الخبيث على بيان الأنباء المستقبلة وقال الله تعالى في كتابه المحكم: ﴿فَلا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ اَحَدًا إلا مَنِ ارْتَضَى مِن رَّسُولٍ﴾، فكيف أخبر الدجال عن الغيب خبرا واضحًا صحيحًا مطابقا للواقع؟ وكيف قال الدجّال أن الخير للناس أن يُطيعوا هذا النبي الأمي العربي فإنه صادق، مع أن الدجّال كافر لا يطيع الله، فكيف يأمر بإطاعة نبيه ﷺ؟ ومع ذلك هو ليس بقائل بزعم القوم بإله من دون نفسه، فكيف قال: وإني يوشك أن يؤذن لي في الخروج فأخرج، بل إن هذا اللفظ يدل على أنه لا يخرج من الدير إلا بإلهام الله تعالى ووحيه، فيلزم من هذا أن يكون الدجّال أحدًا من الأنبياء، وقد تقرر عندهم أنه من أكابر المفسدين. فتفكَّرْ ولا تكن من الغافلين. منه.

❷ *يبدو أن التاء زيدت سهوا، والصحيح: ظهر. (الناشر)*

❸ **حاشية:** لا يُقال إن هذا التفسير خلاف الإجماع وأن القوم قد اتفقوا على أنهم قوم لا يُشابهون خَلْق الإنسان، ولهم آذان طويلة، لأنهم قد اتفقوا على أن يأجوج ومأجوج قوم محصورون في الإقليم الرابع، وهم أزيَدُ نسلا وعددا من كل قوم، وهذا باطل بالبداهة، لأنّا لا نرى في الإقليم الرابع أثرا منهم ولا من بلادهم ومدنهم وعساكرهم مع أن عمارات الأرض قد ظهرت كلها. فالروايات في هذا الباب باطلة كلها، فقِسْ عليها رواياتٍ مثلها، وكُنْ من المحققين. منه

ويقول إنه **تُوُفِّيَ** ودُفن في أرض الشام، ولا يؤمن بمعجزاته، ولا يؤمن بأنه خالق الطيور ومحيي الأموات وعالم الغيب وحيٌّ قائم إلى الآن في السماء، ولا يؤمن بأن الله قد خصّه وأُمَّه بالمعصومية التامّة من مَسِّ الشيطان ومِن كل ما هو من لوازم المسّ، ولا يُقرّ بأنهما مخصوصان متفردان في العصمة المذكورة لا شريك لهما فيها أحد من الرسل والنبيين. ويقولون إن هذا الرجل لا يؤمن بالملائكة ونزولهم وصعودهم، ويحسب الشمس والقمر والنجوم أجسامَ الملائكة، ولا يعتقد بأن محمدا ﷺ خاتم الأنبياء ومنتهى المرسلين، لا نبي بعده وهو خاتم النبيين.

فهذه كلها **مفتريات** وتحريفات، سبحان ربي ما تكلمتُ مثل هذا، إنْ هو إلا كذبٌ واللهُ يعلم أنهم من **الدجّالين**. وقد سقطوا عليَّ وما أحاطوا معارف أقوالي، وما فهموا حقائق مقالي، وما بلغوا مِعْشارَ ما قلنا، وخانوا وحرّفوا البيان، ونحتوا البهتان، ووقعوا في حيص بيص، وظنّوا ظنَّ السوء، فتعسًا لتلك الظانّين. والله يعلم أني ما قلتُ إلا ما قال الله تعالى، ولم أقلْ كلمةً قطُّ تخالفه وما مَسَّها قلمي في عمري.

وأما قولهم إن المسيح كان خالق الطيور وكان خَلْقه كخَلق الله تعالى بعينه وكان إحياؤه كإحياء الله تعالى بعينه بلا تفاوُت، وكان معصوما تامًّا ومحفوظا من مسّ الشيطان، وليس كمثله في هذه

العصمة نبيُّنا ﷺ، فهذا عندي ظلمٌ وزُور، كبُرتْ كلمةً تخرُج من أفواههم، وإنهم في هذه الكلمات من الكاذبين.

وأما افتراؤهم عليَّ وظنُّهم كأني لا أؤمن بالملائكة، فما أقول في جواب هذه الظنون الفاسدة التي لا أصل لها ولا أثر، غير أني أبتهل في حضرة الله سبحانه وأقول رَبِّ الْعَنِّي إنْ كنتُ قلت مثل هذا، وإلا فَالْعَنِ المفترين الذين يفترون عليّ بغير علم، ويكفِّرون بغير الحق، ولا يتقون الله وما كانوا خائفين.

والأمر الحق أني ما قلت قولا يُخالف عقيدةَ أهل السُنّة حقيقة، وما جرى على لساني مثل تلك الألفاظ، وما خطر في قلبي شبيه هذه الافتراءات، ولكنهم ما فهموا كلماتي من قلة التدبر، وسوء الفكر، وفساد القلب، وابتدرَ كل واحد منهم إلى التكفير عَجولاً بادي الرأي، فكيف أهدي قومًا حاسدين؟

نعم.. إني قلت وأقول: إن عيسى ابن مريم عليه السلام قد تُوُفّي كما أخبرنا **القرآن** العظيم والرسول **الكريم**، فكيف نرتاب في قول الله ورسوله؟ وكيف نؤثر عليه أقوالا أخرى؟ أأختار الضلالة بعدما هداني الله؟ والقرآن حَكَمٌ عَدْلٌ بيني وبين المخالفين، وبأيّ حديث بعد الله وآياته يؤمنون؟ ألم يكفِ لهم ما قال رب العالمين؟ ولكنهم ما يقبلون **شهادة** القرآن، ويتّكئون على أقاويل أخرى التي لا يدرون حقيقتها. فليتَ شعري.. إلى أي أمر يدعونني؟ أيدعونني إلى الجهل والعمى بعدما كنت من المتبصرين؟ والله إني على بصيرة من ربي،

وعندي شهادات من الله وكتابه وإلهامه وكَشْفه، فهل من طالب يأخذ سهم رشده مني، ويأبى دواعيَ البخل والحسد، ويقبل الحق كالمسترشدين؟ ولا أظن أحدا من العاملين العالمين المتقين أن يُقدّم غيرَ القرآن على القرآن، أو يضَع القرآن تحت حديث مع وجود التعارُض بينهما، ويرضى له أن يتبع آحاد الآثار ويترك بيّنات القرآن، ويؤثر الشك على اليقين، ويختار الجهل بعدما كان من العارفين.

وإن المسلمين وعلماءهم الراسخين كانوا قد أمروا أن يتّبعوا البيّنات، ويجتنبوا الشبهات، وكانوا يعلمون أن البيّنات أحقُّ أن تُتَّبَعَ. وإنما البيّنات هي المعاني التي قد انكشفت وتبينت عند العقل السليم، وتواترت في القرآن العظيم، ووُجدتْ أقربَ من الفهم المستقيم، وأبعدَ عن آفات التناقض وأدخَلَ في سُنّة الله والقانون القديم، وأجلى وأظهر من معان أخرى. ثم ذهلت هذه الطائفةُ تلك الضابطةَ المباركة كأنهم لا يعلمون شيئا وكأنهم من الجاهلين. **وإني أرى** أنهم لا يعتقدون بأن القرآن كلام **حيٌّ، وإمام صادق** ومهيمنٌ، ومعيارٌ كامل، بل يحقرونه ويضعونه تحت أقدام الأحاديث، ويجعلون الأحاديث قاضية عليها من قبل أن يُفتّشوا الآثار حق تفتيشها، ويُثبتوا موازنة القطعيات بالقطعيات. بل هم يأمرون تحكُّمًا ويقولون ظلمًا إن الأحاديث بجميع صورها الظنّيّة والشكّيّة أحقُّ قبولاً من القرآن وحاكمةٌ عليه. وإن هو إلا ظلم وزور تكاد السماوات

يتفطرن منه. ولا يوجد في القرآن وحديث رسول الله ﷺ إيماض إلى ذلك، ولا إيماء إلى هذه البهتانات، بل الصحابة كانوا يقدّمون القرآن في كل حال ولا يتركونه لأثر من الآحاد●. ألا ترى إلى الصدّيقة **أُمّ المؤمنين** رضي الله عنها كيف أوّل◈ الأحاديث للقرآن وما أوّل◈ القرآن للأحاديث، وما التفتتْ إلى حديث بعد وجود المعارضة بينه وبين القرآن. وكانت فقيهة فاضلة موفَّقة، حبيبةَ نبينا ﷺ، وكانوا يرجعون إليها في كل مسألة دقّتْ مآخذها. وإن كنت في شك فاقرأ **البخاري** تدبرًا، فستجد تلك القصص في أكثر مقاماته. فما حال هؤلاء أنهم لا يقرأون القرآن إلا كالغافلين النائمين، ولا يفهمونه حق فهمه، بل القرآن لا يجاوز حناجرهم، ولا يتبعونه ولا يبتغون نوره، بل يحملونه على هيئة الجنائز، ولا ينظرون إليه بنية الاستفادة وأخذِ العلوم والمعارف، كأنهم في شك عظيم. ولا يرون حياته وبركاته وإشراقاته، ولا يُقدّرونه حق قدره، ولا يدرون ما شأنه وما برهانه، وينبذون صحف الله وراء ظهورهم، ويُكبّون على حديث ضعيف ولو يُعارض القرآن، وما كانوا من المنتهين.

● انظروا حديث معاذ الذي فيه وصيّة رسول الله ﷺ لمعاذ. منه.

◈ *سهو، والصحيح: "أوّلتْ". (الناشر)*

ووالله ما قلتُ قولاً في **وفاة المسيح وعدم نزوله** وقيامي مقامه إلا بعد الإلهام المتواتر المتتابع النازل كالوابل، وبعدَ مكاشفات صريحة بيِّنة منيرة كفلق الصبح، وبعد عرضِ الإلهام على القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة النبوية، وبعد استخارات وتضرعات وابتهالات في حضرة رب العالمين. ثم ما استعجلتُ في أمري هذا، بل أخرّتُه إلى عشر سنة، بل زدتُ عليها وكنت لِحُكمٍ واضحٍ وأمرٍ صريحٍ من المنتظرين. وكنت صنّفتُ كتابا في تلك الأيام التي مضت عليها عشر سنة، وسميتُها **البراهين**، وكتبت فيها° بعض إلهاماتي التي أُلهمت من ربي من قبل تأليف ذلك الكتاب، وكانت من جملتها هذا الإلهام، أعني: "يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ القِيامَةِ". وإن الله قد سمّاني في هذا **عيسى**، ومِن جملتها إلهام آخر خاطبني ربي فيه وقال: إني خلقتُك من جوهر عيسى، وإنك وعيسى من جوهر واحد، وكشيء واحد. ومِن جملتها إلهام سمّى فيه كلَّ من خالفني من العلماء "اليهود والنصارى". ثم ما أُلهمتُ إلى عشر سنة بمثل هذه الإلهامات، وما كنت أدري أني أُؤمر بعد هذه المدة الطويلة وأُسمَّى **مسيحا موعودا** من الله تعالى، بل كنتُ خِلْتُ أن المسيح نازل من السماء كما هو مركوز في مدارك القوم، ولكني كنت

° *سهو من الناسخ، والصحيح: "سميته البراهين، وكتبت فيه." (الناشر)*

أقول في نفسي تعجبا: إن الله لِم سمّاني عيسى ابن مريم في إلهامه المتواتر المتتابع، ولِم قال إنك وإنه من جوهر واحد، ولِم سمّى المخالفين "اليهود والنصارى"؟ فظهرت عليَّ معاني تلك الإلهامات والإشارات بعد عشر سنة، وبعد إشاعة "البراهين" في ألوف من الناس، وبعد إشاعة هذه الإلهامات في خَلق كثير من المسلمين والمشركين.

فاسألوا الذين يظنون أنه افتراء منحوت.. أهذه علامات المفترين؟ وكانوا يقرأون من قبل كتابي "البراهين" ويجدون فيه مجملا كلَّ ما قلتُ في هذه الأيام مفصلا، وكانوا يحبّون ذلك الكتاب ويصدّقون إلهاماتٍ مذكورة ولا يُعرضون كالمنكرين. فلما جاء ميقات ربي، وأُمرتُ لأصدع بما سُمّيتُ في الكتاب المذكور انقلبوا منكرين مكفّرين، كأنهم سمعوا كلمة غريبة أو جاءهم ذكرٌ مُحدَثٌ وكأنهم ما كانوا مُطّلعين على ما كتبت في "البراهين". ولو كانوا عاقلين منصفين طالبين للحق مفتّشين للحقيقة لَتَفكَّروا في قول قد كُتِبَ من قبل وطُبع وأُشيع في زمان ما كان أثرُ هذه الدعاوي فيه، ولَتَفَكَّروا في سوانح عمري، ولقد لبثتُ فيهم عُمُرًا من قبل، ولتَفكّروا في رأس المئة وضرورة المجدد بما وعد الله ورسوله، ولتَفكّروا في مفاسد الزمان وبدعاتها، ونَسْلِ النصارى مِن كل حدب. فيا حسرة عليهم! إنهم ظنوا ظن السوء بغير فكر وتحقيق وإمعان، وما كان لهم أن يتكلموا في المؤمن إلا بحسن الظن، وما

كان لهم أن يُسارعوا عليَّ مجترئين. وما حمَلهم على الإنكار إلا استعجالهُم وسوء ظنهم وبخلهم وعنادهم وقلة تدبرهم، فيا حسرة على الحاسدين والمعاندين والظانين ظن السوء والسالقين!

وأما ما قلتُ في وفاة المسيح فما كان لي أن أقول من عند نفسي، بل اتبعتُ قول الله تعالى وآمنت بما قال الله تعالى ﷻ: "يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيامَةِ". فانظرْ كيف شهد الله على وفاته في كتابه المبين! ومعلوم أن الرفع وتطهير ذيل المسيح من إلزامات اليهود وبهتاناتهم، وغلبةَ أهل الحق وضربِ الذلة على اليهود، وجعلهم مغلوبين مقهورين تحت النصارى والمسلمين.. لقد وقعتْ هذه الأنباء والمواعيد كلها وتمت وظهرت، وما وقعت إلا على صورتها وترتيبها، وقد انقضت مدة طويلة على ظهورها ووقوعها، فكيف يعتقد عاقل بالغ ذو عقل سليم وفهم مستقيم بأن خبر التوفِّي الذي قُدِّمَ على هذه الأخبار في ترتيب الآية الموصوفة هو غير واقع إلى وقتنا هذا، وما مات عيسى بن مريم إلى هذا الزمان الذي فسد بضلالات أُمّته، بل يموت بعد نزوله في وقت غير معلوم؟ ولا يخفى سخافة هذا الرأي على المتفكرين.

والقائلون بحياة المسيح لما رأوا أن الآية الموصوفة تُبيّن وفاته بتصريح لا يُمكن إخفاؤه، جعلوا يؤوّلونها بتأويلات ركيكة واهية، وقالوا إن لفظ **التوفي** في آية: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ...﴾ كان

مؤخَّرا في الحقيقة من كل هذه الواقعات، يعني مِن رفع عيسى وتطهيره من البهتانات ببعث النبي المصدِّق وغلبةِ المسلمين على اليهود وجعلِ اليهود من السافلين، ولكن الله قدَّم لفظَ "المتوفي" على لفظ "**رافعك**" وعلى لفظ "مطهّرك" وغيرها مع حذف بعض الفقرات الضرورية رعايةً لصفاء نظم الكلام كالمضطرين. وكان اللفظ المذكور.. يعني: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ في آخر ألفاظ الآية، فوضَعه الله في أوّلها اضطرارا لرعاية النظم المحكم، وكان الله في هذا التأخير والتقديم من المعذورين، فلأجل هذا الاضطرار وضَع الألفاظ في غير مواضعها وجعَل القرآن عضين. والآية بزعمهم كانت في الأصل على هذه الصورة: يا عيسى إني رافعك إليَّ، ومطهّرك من الذين كفروا، وجاعلُ الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، ثم مُنــزلك من السماء ثم متوفّيك. فانظرْ كيف يبدّلون كلام الله ويحرّفون الكلم عن مواضعها، وليس عندهم من برهان على هذا.. إن يتّبعون إلا أهواءهم، وما كان لهم أن يتكلموا في القرآن إلا خائفين. **وأنت تعلم** أن الله مُنــزَّه عن هذه الاضطرارات، وكلامه كله مُرتَّب كالجواهرات، والتكلُّم في شأنه بمثل ذلك جهالةٌ عظيمة، وسفاهة شنيعة، وما يقع في هذه الوساوس إلا الذي نسي قدرة الله تعالى وقُوّته وحوله، واحتقره وما قدَره حقّ قدره، وما عرَف شأن كلامه، بل اجترأ وألحقَ كلام الله بكلام الشاعرين.

وكيف يجوز لأحد من المسلمين أن يتكلم بمثل هذا، ويبدّل كلام الله مِن تلقاء نفسه، ويُحرّفه عن موضعه من غير سند من الله ورسوله؟ أليست لعنة الله على المحرِّفين؟ ولو كانوا على الحق فلِم لا يأتون ببرهان على هذا التحريف من آية أو حديث أو قول صحابي أو رأي إمام مجتهد إن كانوا من الصادقين؟ وكيف نقبل تحريفاتهم التي لا دليل عليها من الكتاب والسُنّة ولا نجدها إلا كتحريف اليهود من تلبيس الشياطين. وأما السلف الصالح فما تكلموا في هذه المسألة تفصيلا، بل آمنوا مجملا بأن المسيح عيسى بن مريم قد تُوُفّي كما ورد في القرآن، وآمنوا بمجدّد يأتي من هذه الأمة في آخر الزمان عند غلبة النصارى على وجه الأرض اسمه عيسى بن مريم، وفوَّضوا تفصيل هذه الحقيقة إلى الله تعالى، وما دخلوا في تفاصيله قبل الوقوع، وكذلك كانت سيرهم في الأنباء المستقبلة كما هي سُنّة الصالحين. فخلَف مِن بعدهم خَلْفٌ أضاعوا سُنّتهم وتركوا سيرهم، وأوَّلوا قول الله ورسوله إلى ما اشتهت أنفسهم، ثم أصرّوا عليه كأنهم عرفوا أسرار الله يقينا وكأنهم كانوا من المستيقنين. ألم يعلموا أن الله صرّح في القرآن العظيم بأن المتنصرين ما أشركوا وما ضلّوا إلا بعد وفاة المسيح كما يُفهَم من آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾؟ فلو لم يُتَوَفَّ المسيحُ إلى هذا الزمان للزم من هذا أن يكون المتنصرون على الحق إلى هذا الوقت ويكونوا مؤمنين موحِّدين.

يا حسرة عليهم! لِم لا يتفكرون في هذه الآيات؟ أليس فيهم رجل رشيد وفهيم وأمين؟ وأنت تعلم أن آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ قد دلّت بدلالة صريحة واضحة بيّنة على أن ضلالة النصارى واتخاذهم العبد إلها مشروطةٌ بوفاة عيسى عليه السلام، ولا يُنكره إلا من عانَدَ الحق بسوء تميُّزه واستعمل المكابرةَ والتحكم بجهله وحُمقه، وأبى متعمدا مِن أن يكون من المهتدين. وإذا قيل لهم آمِنوا بما صرّح الله في كتابه من وفاة المسيح وضلالة النصارى بعد وفاته لا في زمن حياته، قالوا أنؤمن بمعان تخالف الأحاديث؟ وقد كانوا يعلّمون الناسَ أن الخبر الواحد يُرَدُّ بمعارضة كتاب الله، فنسوا ما ذكّروا الناسَ وانقلبوا إلى الجهل بعدما كانوا عالمين. وما نجد في حديثٍ ذِكْرَ رفع المسيح حيًّا بجسمه العنصري، بل نجد ذكر وفاة المسيح في **البخاري** والطبراني وغيرهما من كتب الحديث، فليرجع إلى تلك الكتب من كان من المرتابين.

وأما ذكرُ **نزول عيسى** بن مريم فما كان لمؤمن أن يحمل هذا الاسم المذكور في الأحاديث على ظاهر معناه، لأنه يخالف قول الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾◈. ألا تعلم أن الربّ الرحيم المتفضّل سمّى نبيّنا صلى الله عليه وسلم خاتَمَ الأنبياء بغير استثناء، وفسّره نبيُّنا في قوله **لا نبي بعدي** ببيان واضح

◈ الأحزاب: ٤١

للطالبين؟ ولو جوّزْنا ظهورَ نبي بعد نبيّنا ﷺ لجوّزْنا انفتاح باب وحي النبوة بعد تغليقها، وهذا خُلْفٌ كما لا يخفى على المسلمين. وكيف يجيء نبي بعد رسولنا ﷺ وقد انقطع الوحي بعد وفاته وختم الله به النبيّين؟ أنعتقد بأن عيسى الذي أُنزِلَ عليه الإنجيل هو خاتم الأنبياء، لا رسولُنا ﷺ؟ أنعتقد أن ابن مريم يأتي وينسخ بعض أحكام القرآن ويزيد بعضا، فلا يقبَل الجزية ولا يضع الحرب، وقد أمَر الله بأخذها وأمَر بوضع الحرب بعد أخذ الجزية؟ ألا تقرأ آية: ﴿يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾*؟ كيف ينسخ المسيح محكماتِ الفرقان؟ وكيف يتصرّف في الكتاب العزيز ويطمِس بعض أحكامه بعد تكميلها؟ فأعجبني أنهم يجعلون المسيح ناسخَ بعضِ أحكام الفرقان ولا ينظرون إلى آية: ﴿**الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ**﴾، ولا يتفكرون أنه لو كانت لتكميل دين الإسلام حالةٌ منتظَرة يُرجى ظهورها بعد انقضاء ألوف من السنوات، لفسد معنى إكمال الدين والفراغ من كماله بإنزال القرآن، ولكان قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿اليَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُم دِينَكُم﴾ مِن نوع الكذب وخلاف الواقعة، بل كان الواجب في هذه الصورة أن يقول الرب تبارك وتعالى إني ما أنزلتُ هذا القرآن كاملا على **محمد** ﷺ بل سأُنزِلُ بعضَ آياته على عيسى

* *التوبة: ٢٩*

بن مريم في آخر الزمان، فيومئذ يكمل القرآن وما كمل إلى هذا الحين.

وأنت تعلم أن هذا القول فاسد بالبداهة، ولا يظن كمثل هذا إلا الذي هو من أكابر المعتدين. نعمْ، يوجد في بعض الأحاديث لفظ نزول عيسى بن مريم، ولكن لن تجد في حديثٍ ذِكر نزوله من السماء، بل ذِكر وفاته موجود في القرآن، وما جاز أن يكون هذا التوفِّي بعد النـــزول، لأن الفتن التي أشير إليها في آية: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي﴾ إنما هاجت وظهرت على وجه الأرض من مدة طويلة، وتمتْ كلمة ربك كما قال، وترى النصارى ينحتون لهم إلها وابن إله، وكذلك تدل آية: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ على أن عيسى قد تُوُفِّي وكان الله خليفة له إلى يوم القيامة، فكيف يمكن نزوله بعد الموت وقد قال الله تعالى: ﴿وَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾◈، وقال: ﴿وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ﴾*. ولا يوجد في حديثٍ أن عيسى يجيء بعد وفاته ويخرُج جسمه من القبر. والجسم الذي دُفن في القبر كيف ينـــزل من السماء؟ فهذه القرائن دالة على أن للنـــزول معنى آخر، وإلا فكيف يمكن أن يُخبر الله أوّلاً بوفاة المسيح ويخبر بأنه خليفته بعد وفاته، وبأنه متمِّمُ أغراضه بعده وجاعلُ أتباعه فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة بإرسال رسوله

◈ الزمر:٤٣ * الأنبياء:٩٦

الكريم ﷺ، وبإرسال عباد مُحدَّثين مُلهَمين الذين يُصدّقون المسيح، ثم يرجع فيناقض قولَه الأول ويقول إنه لم يمتْ بل هو نازل من السماء؟ فكأنه نسِي قوله السابق ونسي آياته. ولكنك لن تجد اختلافا في كلامه، فلا تنسب إليه أقوالا قد وقعت في غاية الضد والتناقض، ووجب علينا أن نصرف مثل هذه الكلمات عن الظاهر، ولو كانت موجودة في حديث بالفرض والتقدير، ونرجع إلى تأويل يوافق القرآن.

فانظرْ كيف بيَّن الله تعالى وفاة المسيح في كتابه، ثم انظرْ هل يكون من البيان والشرح والإيضاح والتصريح أكثر من هذا؟ ثم انظر أنه عز اسمه ما قال رافعك إلى السماء، بل قال: ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، وقوله: ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ يُشابه قولَه: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً﴾◈، وما معنى هذا إلا الوفاة، فاستيقظْ وكن من المتدبرين.

أيها العزيز! كيف نقبل عقيدة يخالف نصوص القرآن ويعارض بيانه، ولا دليل معه ولا سبيل إليه، ولا يأتون بحجة عليه ولا برهان ساطع، وأظن أنك تفهم إذا أنصفتَ وفكّرت، وقد كتبتُ كل ذلك في كتبي مع الدلائل، وأكره التطويل في مكتوبي هذا فإنه يوجب الملال، فاقتصرتُ على ما كتبت. ومن يدرس كتاب الله حق دراسته فأتيقن أن يصل إلى أعلى مراتب اليقين في هذا الأمر، ويتفق رأيه

◈ الفجر: ٢٩

برأيي ويُكشَف بين يديه كلُّ ما قلتُه. فتدبَّرْ، أنار الله عقلك وجعلك من المستيقنين. وينبغي لك - رحمك الله - أن تُقدّم القرآن وتعظّم آياته، فإنه يقيني، وكل آية قطعية متواترة، وما مسّته أيدي الناس، وما اختلطَ به شيء من أقوال بني آدم، وإنه كلام رباني لا شك فيه، وإنه آيات إلهية لا ريب فيها. وأما الأحاديث فأنت تعلم أن كلها آحاد إلا القدر القليل الذي هو كالنادر، فتفكَّرْ في هذا بطهارة النفس وصحة النية وسلامة القلب، وأدعو أن يؤيدك الله بإلهامه، ويهَب لك لُطْفَ النظر ودقة الفكر، ويكون معك ويجعلك من العارفين.

وأما إيمان قومنا وعلمائنا بالملائكة وغيرها من العقائد فلسنا نجادلهم فيه ولا نخطّئهم في ذلك، وليس في هذه العقائد عندنا إلا التسليم، وإنما نحن مناظرون في أمر نزول المسيح من السماء، ولا نُسلّم أنه ثابت من الكتاب والسُنّة، وإن كان ثابتا فلا ينبغي لنا ولا لأحد أن يأبى ويمتعض من قبوله، فإنه لا يفر من قبول الحق إلا ظالم مُعتد لا يُحب الصداقة، أو ضال جاهل لا يعرف قدرها. وأما إن كان غير ثابت فلا ينبغي لصالح أن يختاره لنفسه، فكيف يدعو إليه رجلا يمشي على صراط مستقيم، وكيف يحسبه من الكافرين؟ وإن أمر الدين أمرٌ جليل الخطب عظيم القدر، لا ينبغي لأحد أن يستعجل فيه، بل اللازم الواجب على كل مسلم مؤمن أن يطرح من بينه البخلَ والشحناء، ويدعو الله ويسأله بالتضرعات والابتهالات

هدايتَه من لدنه، ومن يهدي إلا الله وهو أحسن الهادين؟ ومن نظَر في القرآن، وفكّر في الفرقان بالتدبر والإمعان، فيظهر عليه كل ما سَوّلتْ للعلماءِ أنفسهم وقد عتوا عُتُوّا كبيرا، وعاندوا الحق وأشاعوا كذبا وزورا، وإن الحق يعلو ولو دفنوه تحت الأرضين.

ولندَع الآن ذِكر هؤلاء ونأخذ في ذكر ادعائنا مكررا لينظر المنصفون هل يجب عليهم قبولُ ذلك أو ردُّه، فنقول إن ديننا هذا الذي اسمه الإسلام.. ما أراد الله أن يتركه سُدى، وما أراد أن يُبطله ويخرّبه من أيدي الأعداء، **بل** قال وهو أصدق الصادقين: ﴿وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾✱، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾○، وقال: ﴿وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾●، وقال: ﴿ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ﴾◈. فهذه كلها مواعيد صادقة لتأييد الإسلام عند ظهور الفتن وغلبة المعاصي والآثام، وأيّ فتن أكبر من هذه الفتن التي ظهرت على وجه الأرض؟ وإن النصارى قد دخلوا على الناس من باب لطيف، وسحروا أعين الناس وقلوبهم وآذانهم بالمكائد التي هي دقيقة المآخذ، وأضلّوا خلقا كثيرا وجاءوا بسحر مبين.

✱ النور:٥٦ ○ الحجر:١٠ ● الجمعة:٤ ◈ الواقعة:٤٠-٤١

ثم اعلم أن للمسيح الموعود كما جاء في الأحاديث ثلاث علامات:

الأول: أنه يجيء عند غلبة النصارى وعند غلبة مكائدهم وشدة جهدهم لإشاعة مذهب التنصر، فيأتي وينـــزل فيهم ويكسر صليبهم ويقتل خنازيرهم، ولا يغزو ولا يحارب، بل كل ذلك يفعل بالقوة السماوية، والطاقة الروحانية، والأسلحة الفلكية، ويضع الحرب ويظهر كالمساكين.

والثاني: أنه يتزوج، وذلك إيماء إلى آية يظهر* عند تزوُّجه من يد القدرة وإرادة حضرة الوتر، وقد ذكرناها مفصلا في كتابنا **التبليغ** والتحفة، وأثبتْنا فيهما أن هذه الآية سيظهر* على يدي، ولولا هذه الآية لما كان سبب معقول لذِكر هذه العلامة، فإن التزوج ليس من أمور نادرة متعسرة، لكي يُقال إنه لا يقدر عليه كاذب إلا المسيح الصادق الذي جاء من رب العالمين، بل التزوج أمر عام يقدر عليه كل رجل ذي مال وثروة حتى الكافر والفاسق، فضلاً من أن يكون محدودا في نبيّ أو وليّ. فثبت أنه إشارة إلى آية عظيمة يظهر* عند تزوُّجه، وقد فصلناها في كتابنا للناظرين.

الثالث: أنه يولد له، وهذا أيضا كلام إيماضي كمثل قوله يتزوج، وفيه إشارة إلى أنه يولد له ولدٌ صالح يُضاهي كمالاتِه، وإلا

* *سهو، والصحيح: تظهر. (الناشر)*

فما التخصيص في الأولاد فقط؟ أوجود الأولاد أمرٌ مستبعَد في غير المسيح؟ بل يوجد في كل قوم، وكاذب وصادق.

فهذه علامات للمسيح الصادق أنبأ بها خير المنبئين، وهي كلها صدقت في نفسي، وهذه من علامات يُعرَف بها صدقي.

ومن علامات أخرى أن الله تعالى أظهر على يدي بعض آيات، وأنبأني أخبارا قبل وقوعها، وقد استجاب كثيرا من أدعيتي، ونصرني في كل موطن، وقد فُتحتْ عليّ أبواب إلهاماته وأنا يومئذ ابن أربعين، فما تركني، وما ودّعني، وما أضاعني، بل خصّصني بالتحديث والمكالمة، وأمرني لأتمّ حجته على المتنصرين.

ولو كان عيسى حيا بجسده العنصري في السماء الثانية كما هو زعم قومي، فكان الواجب أن ينــــزل في هذا الوقت، فإن الأمم قد هلكت بمكائد النصارى، وبلغت المفاسد منتهاها، والقعودُ على السماوات مع ضلالةِ أهل الأرض وفسادِ أُمّته شيءٌ عجيب، وما نعلم ما الفائدة في هذا القعود وإضاعة العمر. وما كان الله ليضيع عمره في زاوية السماوات وقد رأى أُمّته قد وقعت في هوة الهلاك، وأفسدت في الأرض أكثر مما أفسد الدجالون من قبل، ولا نظير لهم في إشاعة الكذب والشرك من آدم إلى هذا الوقت. ألا **ترى** أن موسى عليه السلام لما كلّم ربّه على طور سينين، واتخذت أُمّتُه مِن بعده عِجلاً جسدا له خُوار، كيف أنبأ الله موسى عليه السلام بهذه الواقعات كلها، وقال ارجعْ إلى قومك بقدم العجلة، فإنهم قد هلكوا باتخاذ

العِجل إلها، فرجع موسى غضبانَ أسفًا، وأخذ بلحية أخيه، ووقع ما تقرأ في القرآن، وما كان فتنةُ العجل أشدَّ من فتنة المتنصرين.

وأنت تعلم أن فتنة النصارى مع شدّة أهوالها وكثرة ضلالها وغلبتها على وجه الأرض كلها، قد امتدّتْ ومكثتْ إلى ألفَين من سَنةِ وفاة المسيح، ولكن ما نزل عيسى عليه السلام إلى هذا الوقت الذي أخبر عنه أهل الكشف كلهم، وما نرى آثار نزوله، فهذه أمور لا نرى جوابها عند هذه العلماء. وقد رأوا مني آيات فلم يلتفتوا إلى ذلك، وقالوا استدراج أو رمل، وبُهتوا لشدة إعجابهم، وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم ظلما وعلوّا، وكان لها من قلوبهم مكان، وفي أعينهم قدر، ولكنهم كذّبوا حسدا من عند أنفسهم، فنعوذ بالله من الحاسدين. وتركوا الحق المبين، واعتصموا بأقاويل ضعيفة. ألا يتدبرون أن الله ما رأى واقعة من معظّمات الواقعات الآتية إلا ذكرها في القرآن؟ فكيف ترَك واقعة نزول المسيح مع عظمة شأنها وعُلوّ عجائبها؟ ولِم ترَكها إن كانت حقًّا؟ وقد ذكَر قصّة **يوسف** وقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصَ﴾◈، وذكَر قصة أصحاب **الكهف** قال: ﴿كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾*، ولكن لم يذكر شيئا من ذكر نزول عيسى من السماء من غير ذكر الوفاة، فلو كان النزول حقًّا لما ترَك القرآنُ هذه القصة، ولذَكَرَها في سورة طويلة،

◈ يوسف:٤ * الكهف:١٠

وجعَلها أحسن من كل قصة، لأن عجائبها مخصوصة بها، ولا نظير لها في قصص أخرى، وجعَلها آية لأُمّة آخر الزمان. فهذا هو الدليل الصريح على أن هذه الألفاظ غير محمولة على الحقيقة، والمراد منها في الأحاديث مجدِّدٌ عظيم يأتي على قدم المسيح ويكون نظيره ومثيله، وأُطلقَ اسم المسيح عليه كما يُطلَق اسم البعض على البعض في عالم الرؤيا، وهذه سُنّة جارية في الوحي والرؤيا، وتجد نظيرها بكثرة في كتب الأحاديث وكتب تأويل الرؤيا، فالمراد منه مثيلٌ يكون للمسيح كوجوده، وينزل بمنزلة ذاته من شدة المماثلة، ويخرج عند غلبة النصارى، ويتم على يده حجة الله، ويُعلي كلمة الإسلام، ويُظهِر الدين على الأديان كلها بالحجج والبراهين. ومع ذلك نجد في القرآن أن في آخر الزمان تغلب النصارى على وجه الأرض، وينسلون من كل حدب، ويهيجون الفتن، ويصولون على الإسلام بمكائدهم، ويجلبون عليه رَجِلَهم وخَيْلَهم، ولا يتركون من كيد في إطفاء نور الإسلام، فعند ذلك ينظر الرب الكريم إلى هذه الأمة المرحومة الضعيفة التي لا حول لها ولا قوة، فينفخ في الصور، ويُعلِّم أحدًا منهم من عنده علما وعقلا، ويُعطي له آيات، ويُنزله منزلةَ عيسى بن مريم، فينير الحق ويُبطل كيد الخائنين. وأما إقامته في مقام عيسى وتسميته باسمه فله وجهين°:

° سهو، والصحيح: "وجهان". (الناشر)

الأول: أن المجدد لا يأتي إلا بمناسبة حال قوم يريد الله أن يتم حجته عليه، فلما كانت الأعداء قوم النصارى، اقتضت الحكمةُ الإلهية أن يُسمّى المجدّد مسيحا.

والثاني: أن المجدّد لا يأتي إلا على قدم نبي يشابه زمانُ المجدد زمانَه، فهنا قد شابَهَ زمانُ قومنا بزمان المسيح، فإن عيسى عليه السلام قد جاء في وقت ما بقيت فيه رياسة اليهود، وتملكت السلطنةُ الرومية عليهم، ومع ذلك جاء في وقت قد فسدت قلوب علماء اليهود، وزاغت آراؤهم، وكثرت فيهم المكائد والفسق والفجور وحبّ الدنيا والخسّة والسفاهة والنفاق والجدال، وغير ذلك من الأخلاق الرديّة، وكذلك كان حال قومنا في هذا الوقت، فاقتضت حكمة إلهية أن تسمي المجدِّدَ عيسى ابن مريم، رعايةً لحالات المخالفين والموافقين.

وقالوا إن المسيح ينـــزل من السماء ويقتل الدجّال ويُحارب النصارى، فهذه الآراء كلها قد نشأت من سوء الفهم وقلة التدبر في كلماتِ خاتم النبيين. وأما النـــزول من السماء فقد فهمتَ حقيقتَه، وقد بيّنتُ لك أن النـــزول من السماء لا يثبت من القرآن العظيم، ولا من حديث النبي الكريم. والعجب منهم أنهم يؤمنون بأن الله أنزل في القرآن آيات فيها ذكرُ وفاة المسيح، ثم يظنون أنه حيّ جالس في السماء الثانية مع ابن خالته يحيى النبي الشهيد – على نبيِّنا وعليهم السلام – ولا يتفكرون ولا ينظرون إلى أن يحيى قد قُتل

ولحِق بالموتى، فكيف جمع الله الحي بالميت؟ وما للموتى والأحياء؟! فالعجب كل العجب أنهم يجمعون في عقائدهم اختلافات كثيرة، ولا يتنبهون على ذلك، ولا يتقون الأقوال المتهافتة المتناقضة، ويتكلمون كالسكارى أو كالمجانين.

وما نجد في أقوال المفسرين أنهم اتفقوا في أمر حياة عيسى، بل لهم في هذه المسألة اختلافات كثيرة. فذهب بعضهم أنه قد مات ثم أُحيِيَ، ولكن هذا قولهم بأفواههم، وما أتوا بدليل على الحياة بعد الموت من النصوص القرآنية أو الحديثية. وبعضهم ذهب إلى أنه صعد بجسمه العنصري إلى السماء قبل الموت، فخالفَ بيانَ القرآن في قوله من غير حجة ولا برهان، ولا دليل شاف ولا سلطان مبين. فالحاصل أنهم نطقوا في أمره بحسب ظنهم كهائم واد، وما اتفقوا على رأي واحد في أمر صعوده، وما استطاعوا أن يأتوا بآية أو حديث أو قول صحابي على صحة عقيدة الصعود بالجسم العنصري. ثم انصرفوا قبل إثبات هذا الأصل العظيم إلى عقيدة النزول، وما عرفوا أن النزول فرع للصعود، وثبوته فرع لثبوته، وإذا ثبت أن القرآن لا يصدِّق **صعودَ عيسى** بجسمه العنصري، بل يخالفه ويُبيّن وفاتَه في كثير من آياته، فتارة يقول: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾، وتارة يشير إلى وفاته بقوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾، وتارة يقول: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ**﴾ أي ماتوا كلهم – ولو لم نختَرْ هذا المعنى في هذه

الآية المؤخرة يبطُل الاستدلال المطلوب - فكيف نترك القرآن وشهاداته؟ وأيّ شهادة أكبر من شهادة الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؟ فهل تريد - أصلحك الله - دليلا أوضح من هذا؟ فالأنسب والأولى أن يُعرَض غيرُ القرآن على القرآن، ولو كان حديث رسول الله ﷺ، أو كشف وليّ، أو إلهام قُطْب، فإن القرآن كتاب قد كفَل الله صحّتَه، وقال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾*، وإنه لا يتغير بتغيُّرات الأزمنة ومرور القرون الكثيرة، ولا ينقص منه حرف ولا تزيد عليه نقطة، ولا تمسّه أيدي المخلوق، ولا يُخالطه قول الآدميين. ومع ذلك لا شك أن القرآن وحي متلوٌّ، وكله متواتر قطعي، حتى النقاط والحروف، وأنزله الله باهتمام شديد كامل بحراسة الملائكة. ثم ما ترَك النبي ﷺ دقيقة من الاهتمامات في أمره، وداومَ على أن يكتب أمام عينه آيةً آية كما كان ينزل حتى جمَع كله، ورتَّب الآيات وجمَعها بنفسه النفيسة، وكان يُداوم على قراءته في الصلاة وغيرها، حتى ارتحل من دار الدنيا ولحِق بالرفيق الأعلى، ولاقى محبوبه رب العالمين. ثم بعد ذلك قام الخليفة الأول **أبو بكر الصدّيق** رضي الله عنه لتعهُّد جميعِ سوره بترتيب سمع من النبي ﷺ، ثم بعد الصدّيق الأكبر وفّق الله الخليفة الثالث فجمَع القرآن على قراءة واحدة بحسب لغة قريش وأشاعه

---

* الحجر: ١٠

في البلاد. ومع ذلك كان الصحابة كلهم يقرأون القرآن كالحفّاظ، وكان كثير منه في صدور المؤمنين، وكـــانوا يقرأونـــه في الـــصلاة وخارجها، بل كانوا بعضهم حافظ القرآن كله، وكانوا يتلونـــه في آناء الليل والنهار، وكانوا على تلاوته مداومين.

فتفكَّرْ أيها العبد الصالح، أين حصل هذا المقام الأعلى والأسنى لحديث في زمان من الأزمنة؟ وإن الأحاديث كلها آحاد° وما توجه رسول الله ﷺ إلى جمعها وكتابتها، ولا صحابته الكرام، وما كفَلها الله وما ضمن وما وعَد لعصمتها وحفاظتها كوعده لحفاظة القرآن. ومع ذلك كُتبت الأحاديث بعد زمان طويل، وبعد قرون من وفاة نبينا ﷺ. ومع ذلك يوجد في بعضها اختلاف كثير وتناقض عسير، فهذا هو السبب الذي جعَل هذه الأُمّةَ فرقةً فرقة، فبعضهم **حنفي**، وبعضهم **شافعي**، وبعضهم **مالكي**، وبعضهم **حنبلي**. ولو كانت الأحاديث متفقة متوافقة، لما اختلف الناس فيها وما افترقوا، ولكنهم وجدوا الأحاديث بعضها يُخالف بعضا، فأخذ كل واحد حديثا باجتهاد وفوَّض الأمر إلى الله، ففريق ذهب إلى رفع اليدين في الصلاة والتأمين بالجهر وقراءة الفاتحة خلف الإمام، وفريق آخر خالفه في

° **حاشية:** اعلم.. أرشدك الله.. أن الإمام البخاري مع شدة اهتمامه في تصحيح الأحاديث وتوفيقها وتنقيدها وتفتيش رُواتها عجز عن رفع التناقض الذي يوجد في أحاديث صحيحة حتى تُوُفِّيَ، ثم ما كان لأحد أن يتدارك ما فاته. ألا تنظر إلى أحاديث المعراج كيف يوجد فيها اختلافات عظيمة، حتى إن بعضهم ذهب إلى أن المعراج كان في اليقظة، وبعضهم ذهب إلى أنه كانت رؤيا صالحة. فتدبَّرْ ولا تكن من النائمين. **منه**

اجتهاده، وكل منهما يستدل بحديث، فكذلك في ألوف من الأحاديث يوجد اختلاف المذاهب. فالأحاديث التي متنــــزلة من مراتب التواتر والقطعية واليقين، ولا تخلو من الاختلافات والتناقضات والأضداد.. كيف نحسبها قاضية على القرآن؟ أهذه علامات القُضاة؟ فتفكّروا إن كنتم متفكرين.

وإنّا لا ننظر إلى الأحاديث بنظر الاستخفاف والتوهين، بل نحن نشكر أئمة المحدِّثين ونحمدهم على سعيهم، ولا شك أن للأحاديث شأنا عظيما، وهي حاملة لتواريخ الإسلام ولأكثر مسائل الدين وجزئياته، ونُعظّمها ونعزّها ونقبَلها بالرأس والعين، ولكنّا لا نقدّمها على كتاب الله الإمام المهيمن، وإذا تخالَفَ الحديث والفرقان في أمر من القصص فنُشهِد الثَّقَلينِ أنَّا مع الفرقان ولا نبالي طعن الطاعنين. ونعلم أن الخير كله والسلامة كلها في جَعْل القرآن معيارا لمثل هذه الأخبار، فالقانون الصحيح العاصم من الخطأ أن نعرِض كل قصة على القرآن، فإن كان ذكرُها في القرآن أو ذكرُ أمر يُشاكلها ويُشابهها فيُقبَل ويُؤمَن به ويُعتقد عليه، وإن لم يوجد شبيه في القرآن، لا في هذه الأُمّة ولا في أمم أخرى، بل يوجد فيه شيء يعارضه، فمن الواجب أن لا يُقبَل مثل هذه القصص إلا في زيّ التأويل. فانظرْ اقتداءً لهذا القانون العاصم الذي بلَغنا من رسول الله ﷺ، هل تجد لقصة صعود المسيح مع جسمه العنصري ولقصة نزوله من السماء واضعا كفيه على جناحي الملَكين أصلاً أو أثرًا في القرآن

أو قصة مما يُشابه هذه القصة؟ بل القرآن يُنــزّه شأن الله عن مثل تلك الأفعال في هذه الدنيا ويقول: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إلا بَشَرًا رَّسُولاً﴾◈. وإنه خالفَ قصة النــزول جهرا بحيث ذكر بشاراتٍ بشّر بها المسيح في كلامه المرتّب المرصّع، فبلغ الكلام من قوله: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ إلى قوله: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾، وما ذكَر فيه قصة صعود المسيح ولا نزوله، ولو كانت صحيحة لذكرها في ضمن هذه البشارات، فهذا دليل واضح على أن الفرقان ما صدّق تلك القصص، بل كذّبها لذِكره المواعيد والتبشيرات للمسيح إلى يوم القيامة، وتركِه تلك القصة، وفي ذلك وجوه شافية للطالبين.

واعلم أن القرآن لا يجوِّز لأحد أن يرقى في السماوات بجسمه العنصري ويبقى فيها حيًّا إلى يوم القيامة. وأنت تعلم أن طائفة من قريش اقترحوا سؤالات من عند أنفسهم، فكان منها أنهم قالوا لرسول الله ﷺ: إنّا لا نؤمن بك حتى ترقى في السماء، فنــزل في جوابهم: ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إلا بَشَرًا رَّسُولاً﴾◈. وأنت تعلم أن رسولنا ﷺ أفضل الرسل وخاتمهم وأحبُّهم إلى الله، فالأمر الذي لم يجُزْ له.. فكيف يجوز لغيره؟ فتدبر يا أخي.. أيدك الله بإلهام مبين.

◈ الإسراء: ٩٤

وأما **معراج** رسولنا ﷺ فكان أمرا **إعجازيا** من عالم اليقظة الروحانية اللطيفة الكاملة، فقد عرج رسول الله ﷺ بجسمه إلى السماء وهو يقظان **لا شك فيه** ولا ريب، ولكن مع ذلك ما فُقد جسمه من السرير كما شهد عليه بعض أزواجه - رضي الله عنهن- وكذلك كثير من الصحابة. فأنت تعلم وتفهم أن قصة المعراج شيء آخر لا يضاهيه قصةُ **صعود** عيسى عليه السلام إلى السماء، وإن كنت تشك فيه فارجع إلى **البخاري**، وما أظن أن تبقى بعده من المرتابين.

وأما قوله تعالى في قصة **إدريس**: ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾* فاتفق المحققون من العلماء أن المراد من الرفع ههنا هو الإماتة بالإكرام ورفع الدرجات، والدليل على ذلك أن لكل إنسان موت مُقدّر لقوله تعالى: ﴿**كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**﴾◇ ولا يجوز الموت في السماوات لقوله تعالى: ﴿**وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ**﴾●، ولا نجد في القرآن ذِكر نزول إدريس وموته ودفنه في الأرض، فثبت بالضرورة أن المراد من الرفع الموتُ. فحاصل الكلام أن كل ما يخالف القرآن ويعارض قصصه فهي أباطيل وأكاذيب، وإنما هو تقَوُّلُ المفترين.

ثم اعلم.. أيدك الله تعالى.. أن عقيدة نزول المسيح من السماء.. مع عدم ثبوته من النصوص القرآنية ومخالفة القرآن فيها، يضر عقائد التوحيد ويربي عقائد قوم أهلكوا الناس بمثل هذه القصص، فإنه إن

---

* مريم: ٥٨ ◇ الرحمن: ٢٧ ● طه: ٥٦

كان هذا هو الأمر الحق.. أن عيسى لم يمت كإخوانه من الأنبياء، بل هو حيٌّ موجود في السماء، ومع ذلك كان يخلق الطيور كمثل خلق الله، ويُحيي الأموات كإحياء رب العالمين، فأيّ ابتلاء أعظم من هذا للذين يدْعون إلى ربوبية المسيح في هذا الزمان الذي تتموج فيه فتن النصارى من كل جهة، ويجاهدون بأموالهم وجميع مكائدهم ليضلوا الناس ويجعلوهم من المتنصرين!

ثم اعلموا.. أيها الأعزة.. أن **حياة رسولنا** ﷺ ثابت بالنصوص الحديثية، وقد قال رسول الله ﷺ إني لا أُترَك ميّتًا في قبري إلى ثلاثة أيام أو أربعين باختلاف الرواية، بل أُحيا وأُرفَع إلى السماء. وأنت تعلم أن جسمه العنصري مدفون في المدينة، فما معنى هذا الحديث إلا الحياة الروحاني والرفع الروحاني الذي هو **سُنّة الله** بأصفيائه بعدما توفاهم؟ كما قال ﷻ: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾*، وما معنى قول: ﴿ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ﴾ إلا المعنى الذي يُفهم من قول: ﴿رَافِعُكَ إِلَيَّ﴾؟ فإن الرجوع إلى الله راضية مرضية والرفعُ إلى الله أمرٌ واحد، وقد جرت عادة الله تعالى أنه يرفع إليه عباده الصالحين بعد موتهم، ويؤويهم في السماوات بحسب مراتبهم، ولأجل ذلك لقي نبينا ﷺ كل نبي خلا من قبله في ليلة المعراج في السماوات، فوجد آدم في السماء الدنيا، ووجد عيسى وابن خالته

* الفجر: ٢٩

يحيى في السماء الثانية، ووجد موسى في السماء الخامسة. وهذه الأحاديث صحيحة تجدها في البخاري وغيره من الصحاح، ثم الذين لا يريدون الحق يتعامون وينسون رفع الأنبياء كلهم، ويصرون على حياة عيسى ورفعه، ويقرأون حديث المعراج ثم ينسونه، ويضيعون أعمارهم غافلين.

أعيسى **حيٌّ ومات** المصطفى؟ تلك إذًا قسمة ضيزى! اعدلوا هو أقرب للتقوى. وإذا ثبت أن الأنبياء كلهم أحياء في السماوات، فأيّ خصوصية ثابتة **لحياة** المسيح؟ أهو يأكل **ويشرب** وهم لا يأكلون ولا يشربون؟ بل حياة **كليم الله** ثابت بنص القرآن الكريم.. ألا تقرأ في القرآن ما قال الله تعالى ﷻ: ﴿**فَلا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ**﴾،● وأنت تعلم أن هذه الآية نزلت في موسى، فهي دليل صريح على حياة موسى عليه السلام، لأنه لقي رسول الله ﷺ، والأموات لا يلاقون الأحياء. ولا تجد مثل هذه الآيات في شأن عيسى عليه السلام، نعمْ جاء ذكر وفاته في مقامات شتى، فتدبر فإن الله يحب المتدبرين.

ولعلك تقول: لِم ذكَر الله تعالى قصة رفع عيسى عليه السلام بالخصوصية، وكذلك قصة نفي صلبه في القرآن؟ وأيّ سرّ ومصلحة في ذِكرهما وأيّ حاجة اشتدت لهذا البيان؟ فاعلم أن علماء اليهود وفقهاءهم - غضب الله عليهم - كانوا ظانين ظن السوء في شأن

● *السجدة:* ٢٤

عيسى عليه السلام، وكانوا يقولون إنه مفترٍ كذاب، وكان مكتوبا في التوراة أن المتنبئ الكاذب يُصلَب ويُلعَن ولا يُرفَع إلى الله تعالى كالأنبياء الصادقين. فأرادوا أن يصلبوا المسيح لِيُثبتوا كذبه بحسب أحكام التوراة، وليبيّنوا للناس أنه ملعون كذاب ولا يُرفَع إلى الله.. قاتلهم الله ولعنهم.. كيف احتالوا في نبي من المقربين! فسعوا لصلبه، وبذلوا له كل كيد ومكرٍ لعله يُصلَب ويحصُل لهم حُجةٌ على كذبه وعدمِ رفعه بكتاب الله التوراة، فبشّر الله عيسى عليه السلام قائلا: ﴿يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ يعني مميتك حتف أنفك، ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ يعني رافعك إلى حضرة القرب كالأنبياء الأصدقاء، ولستَ بنعمة الله من الملعونين والكذابين. فهذه مواعيدُ تسلية من الرب الكريم لعيسى عليه السلام وردٌّ على اليهود، وقولٌ مبشِّر بأن الله لا يهدي كيد الخائنين. والرفع.. كما علمتَ آنفا.. ليس مخصوصا بعيسى عليه السلام، والأنبياء كلهم قد رُفعوا وكان مقعدهم عند مليك مقتدر، وقد وجد نبينا صلى الله عليه وسلم كل نبي مرفوعا إلى سماء من السماوات، بل وجد بعض الأنبياء أرفع من عيسى عليه السلام.

وفي آية: ﴿**وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ**﴾ إشارة أخرى، وهي أن النصارى زعموا أن عيسى صُلِب لأجل تطهيرهم من المعاصي، وظنوا كأنه حمل بعد الصلب جميع ذنوبهم على نفسه، وهو كفّارةٌ لهم ومطهِّرهم من جميع المعاصي والخطيئات، ففي نفي الصلب ردٌّ على النصارى وهدمٌ لعقيدة الكفّارة، ومع ذلك ردٌّ على اليهود

واستئصال لكيدهم الذي احتالوا اعتصاما بالتوراة، وإظهارٌ لبرية◈ عيسى عليه السلام من بهتان تلك الأقوام. فهذا هو السبب الذي ذكَر الله قصةَ صلب عيسى في القرآن وكَذَّبَه، وإلا فما كان فائدة في ذكره، وكم من نبي قُتل في سبيل الله وما جاء ذِكر قتلهم في القرآن. فخُذْ مني هذه النكتة وكن من المصدقين.

وربما يختلج في قلبك أن رسول الله ﷺ لم اختار لفظ النـــزول عند ذكر مجيء المسيح الموعود في كل مقام، وترَك لفظ البعث والإرسال وغير ذلك. فاعلم أن فيه سر عظيم قد أشار إليه القرآن في مقامات شتى، وهو أن أنبياء الله - عليهم السلام - يُرفعون إلى الله بعد وفاتهم منقطعين من هذا العالم، لا يكون لهم اهتمام ولا فكر لعالم تركوه، بل يصلِون ربهم فرحين، ويقعدون عند مليك مقتدر بطيب العيش والحبور والسرور، ويلحَقون بالواصلين. وقد يتفق أن أمّةَ أحد منهم تُفسد إفسادا عظيما في الأرض ويرجعون إلى جاهليةٍ أولى بل إلى أقبح وأشنع منها، فيرتعد النبي المتبوع بسماع هذا الخبر عن الله تعالى، ويدركه همٌّ وغمّ واضطراب، ويقصد أن ينـــزل إلى الأرض ويُصلح أُمّته، فلا يجد سبيلا إليه لِما سبَق قول الله تعالى: ﴿**أَنَّهُمْ لا يَرْجِعُونَ**﴾، فالله يجعل له مثيلا في الأرض ويجعل إراداته في إراداته، وتوجهاته في توجهاته، ويجعلهما كشيء واحد كأنهما من

◈ *سهو الناسخ، والصحيح: "لبراءة". (الناشر)*

جوهر واحد، ويُنــزِل روحانيته على روحانيته، فيظهر **المثيلُ** بشأن وأخلاق وصفات كان الممثَّل به يوصف بها. فهذا هو الوجه الذي اُختير له لفظ النــزول ليدل على أن المسيح الموعود يجيء على قدم المسيح الأصلي كأنه هو، فمعنى لفظ النــزول الذي جاء في البخاري أن المسيح الآتي ينــزل منــزلةَ المسيح الحقيقي.

ومع ذلك لما كان الدجّال المفسد المضل خارجا من الأرض بأنواع المكائد والحيل والفنون الأرضية السفلية.. أُختيرَ لفظ النــزول للمسيح الموعود مناسبةً ومحاذاة للخارج الأرضي، وإشارةً إلى أن الدجّال يُهيِّج فتنته من الحِيَل الأرضية والمكائد السفلية، والمسيح الموعود لا يأتي بشيء من الأرض من سيف أو سهم أو رمح بل يأتي بالأسلحة الفلكية، وينــزل على أجنحة الملائكة، لا يكون معه شيء من الأسباب الأرضية، ويؤيَّدُ بآيات السماء وبركاتها، فكأنه ملَكٌ نزل من السماء لإهلاك العفريت الأرضي● وإطفاءِ شعلة شروره.

واعلم أن لفظ النــزول تبشير سماوي للمسلمين لئلا ينقطع رجاؤهم في زمان تُصبّ عليهم المصائب، وتقل الحيَل الأرضية والوسائل السفلية، وترتعد قلوبهم برؤية غلبة النصارى ودولتهم

● **الحاشية:** قد جاء في بعض الأحاديث أن الدجّال لا يكون من نوع الإنس بل إنما هو شيطان يوسوس في صدور تابعيه في آخر الزمان، فتوابعه يكونون مظاهره ومظهر إرادته. منه.

وشدة قوتهم، وقوة مكائد أئمة دينهم الذين هم الدجّال الأكبر المعهود، والمظهر الأتم للشيطان، لم يُرَ مثلهم ومثل مكائدهم في العالمين.

فبشّر الله المسلمين المستضعفين في آخر الزمان وقال إنكم إذا رأيتم أن أئمة دين النصارى قد غلبوا على وجه الأرض، وأهلكوا أهلها بأنواع مكائدهم وحيلهم وعلومهم، وجذبِهم قلوب الناس إليهم، ورفقِهم ولين قولهم، ومداراتِهم التي بطريق النفاق، واستعمالِهم ضروبا من الحيل، وتأليفِ القلوب بالتعليم والأموال والنساء والمناصب والمداواة والتشويقات والأماني والخداع، وإراءةِ حكومة الدنيا وسلطانها، ومواعيدِ القرب من دولتهم والتعزز عند أمرائهم، ووجدتم أنهم قد أحاطوا على البلاد كلها وأفسدوا فسادًا كبيرا بسحر كلماتهم وعجائب تلبيساتهم، وفنونهم الأرضية التي بلغت منتهاها، فلا تخافوا ولا تحزنوا، فإنّا نرى ضعفكم وكسلكم في دينكم، وقلةَ علمكم وعقلكم وهمتكم ومالكم، وقلةَ حيلكم في تلك الأيام، ونرى أنكم صرتم قوما مستضعَفين، فنُنـــزِل في تلك الأيام نصرةً من عندنا من السماء، وعبدًا من لدُنّا، ويأتيكم مددنا من العرش خالصا من أيدينا ومن نفخنا، لا يُخالطه سبب من أسباب الأرض، فنُتِمُّ حجة ديننا على الظالمين.

وقد أشير في بعض الأحاديث أن المسيح الموعود والدجّال المعهود يظهران في بعض البلاد المشرقية، يعني في ملك **الهند**، ثم

يُسافر المسيح الموعود أو خليفة من خلفائه إلى أرض دمشق، فهذا معنى القول الذي جاء في حديث مسلم أن عيسى ينـــزل عند منارة دمشق، فإن النـــزيل هو المسافر الوارد من مُلك آخر. **وفي** الحديث.. يعني لفظ المشرق.. إشارة إلى أنه يسير إلى مدينة دمشق من بعض البلاد المشرقية وهو مُلك الهند. وقد أُلقِيَ في قلبي أن قول: عيسى عند المنارة دمشق، إشارةٌ إلى زمان ظهوره، فإن أعداد حروفه تدل على السنة الهجرية التي بعثني الله فيه⊙. واختار ذكر لفظ المنارة إشارةً إلى أن أرض دمشق تنير وتشرق بدعوات المسيح الموعود بعدما أظلمت بأنواع البدعات، وأنت تعلم أن أرض دمشق كانت منبع فتن المتنصرين.

وتفصيله كما رأيناه في أناجيل النصارى أن **بولص** الذي كان أول رجل أفسد دين النصارى وأضلهم، وأجاح أصولهم، ومكر مكرا كُبّارًا، وسار إلى دمشق وافترى من عند نفسه قصة طويلة ليعرضها على بعض سادات النصارى الذين كانوا غافلين من مكائده، وكانوا سفهاء بادي الرأي، ذوي الآراء السطحية والعقول الناقصة الضعيفة، سريعي الإيمان بالخرافات المنقولة والعجائبات المروية، ولو كان ناقلها وراويها امرأً كذّابا مفسدًا، فلقي بولص في دمشق رجلا منهم الذي كان اسمه أنانيا، وكان أولهم غباوة وسريع

⊙ *سهو، والصحيح: "فيها". (الناشر)*

الميل إلى مثل هذه المزخرفات، فقال يا سيدي إني رأيت كشفًا عجيبا.. أني كنت أسير مع جملة فرسان إلى جهة من الجهات، وكنت من أشد الأعداء لدين المسيح، أروح وأغدو في هذا الفكر، فنـــزل عليّ المسيح وناداني من الضوء، وسمعت صوته وعرفته، فقال لم تؤذيني يا بولص؟ أتطيق أن تضرب يدك على رمح الحديد؟ فزجرني وخوّفني حتى خفت وارتعدت، فقلت: يا ربي إني تبت مما فعلت، فأْمُرْ ما أفعل بعد ذلك. فأمرني وقال: سِرْ إلى مدينة دمشق، وابحثْ فيها عن رجل اسمه أنانيا، واقصصْ عليه هذه القصة، فهو يعرّفك ما يكون عملك. فالحمد لله أني وجدتك ورأيتك على صفات عرّفني بها ربي المسيحُ. ثم قال بعد تمهيد هذه المكائد يا سيدي إني بريء من دين اليهود، فأدخِلْني في الملة المقدسة النصرانية، فإني جئتك مؤمنا ومبشرا من المسيح. فتنصّرَ على يد أنانيا، وأجابه أنانيا في كل ما طلبه وعظّمه وأشاع هذه القصة في مدينة دمشق. فأولُ أرضٍ غُرِسَ فيه◈ شجرة ربوبية المسيح هي مدينة دمشق، وغرَس بولص فيها هذه الأشجار الخبيثة وأهلك أهلها، فالنصارى كلهم أشجار بذر بولص الذي بذره في دمشق، فأراد رسول الله ﷺ أن يذكر مدينة دمشق في نبأ المسيح الموعود تنبيهًا إلى أن تلك الأرض كانت مبدأً للفساد، ومنبعًا أولاً لفتن التنصر ولجعلِ العبد

◈ *سهو، والصحيح: "فيها". (الناشر)*

إلهاً. ثم سيصل عبدٌ مُوَحّدٌ إليه في آخر الزمان لإشاعة التوحيد كما وصل بولص لإشاعة الشرك والكفر والخبث، تلبيسًا من عند نفسه، ليكون له مكانا في أعين النصارى.

فالحاصل أن دمشق كان أصلا ومنبعا لفتن المتنصرين، وكان مبدأ الفساد ومبدأ كيد الكائدين. فبشّر الله لعباده أن فتنة ألوهية المسيح تُجاح وتُزال من وجه الأرض كلها حتى من دمشق الذي كان مبدؤها ومنبعها، وينتهي كمال التوحيد إليه كما ابتدأت الفتن منه. وهذا فعل الله وعجيب في أعين الذين لا يؤمنون بعجائب رحمة أرحم الراحمين.

وأما قتل الدجّال الذي هو من **علامات** المسيح.. فاعلموا أيها الأعزة أيدكم الله.. أن لفظ الدجّال ليس اسم أحد سماه أبواه به، بل هو في اللغة فئة عظيمة يقطعون نواحي الأرض سيرا، ويُغطّون الحق على الباطل ويُرُونه كالحق الخالص المحض، وينجّسون وجه الأرض بالتمويهات والتلبيسات، ويفُوقون مكرًا وكيدًا كلّ مكّار وكائد، وتعمّ الأرضَ كلها بليّاتُهم وآفاتهم. ولو كان المراد من لفظ الدجّال رجلا خاصّا لبيّن النبي ﷺ اسم ذلك الرجل الذي لُقّب بالدجّال، أعني الاسم الذي سماه والداه، وبيّن اسم والديه، ولكن لم يُبين ولم يصرّح اسم أبيه وأمه. فوجب علينا أن لا ننحت من عند أنفسنا رجلا خاصا، بل ننظر في لسان العرب، ونقدم معنى يهدي إليه لغة قريش، فإذا ثبت معناه أنه فئة الكائدين فوجب بضرورة التزام معنى

اللفظ أن نقر بأنه فئة عظيمة فاقوا مكرا وكيدا وتلبيسا أهلَ زماهم، ونجّسوا الأرض كلها بخيالاتهم الفاسدة.

ثم إذا رجعنا إلى القرآن ونظرنا فيه.. هل هو يبين ذكر رجل خاص مسمى دجّالا، فلا نجد فيه منه أثرًا ولا إليه إشارة، مع أنه كفَل ذِكْرَ واقعات عظيمة لها دخلٌ في الدين، وقال: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾●، وقال في مقامات كثيرة إن في القرآن تفصيلَ كل شيء، ولكن لا نجد في القرآن ذكر الدجّال - الذي هو فرد خاص بزعم القوم - إجمالا، فضلا عن التفصيلات. نعم إنّا نرى أن القرآن قد ذكر صريحا فئة مفسدة في الدين، وذكر أن في آخر الزمان يكون◈ قوما مكّارين مفسدين، ينسلون من كل حدب، ويهيّجون الفتن في الأرض كأمواج البحار، فتلك هي الفئة التي سُمّيت في الأحاديث دجّالا. والله يعلم أن هذا الأمر حق وظهرت العلامات كلها. ألا ترى أنهم أشاعوا الكفر والشرك أكثر مما أشاع الكفار كلهم من وقت **آدم** إلى هذا الوقت؟ والأماكن التي مرّوا بها وتسلّطوا عليها فقد بذروا فيها بذر الكذب والفتنة والفساد والتنازعات على جيفة الدنيا وأموالها وأراضيها وعماراتها وإماراتها. وقد هيّجوا بعض الناس على بعض بلطائف الحِيَل والتدابير المُوقِعة في المجادلات، وقد أشاعوا الفسق والإلحاد والزندقة، وعلّموا أهل الدنيا

● *الأنعام: ٣٩*

◈ *يبدو أن لفظ "يكون" زيد هنا سهوًا. (الناشر)*

سِيَرًا دجّالية وفتنًا لطيفة، وما بقيت الأمانة في هذه الديار ولا الديانة ولا الصدق ولا الوفاء ولا العهد ولا الحياء ولا فِكر الآخرة إلا ما شاء رب العالمين. يتوادّون للدنيا، ويتباغضون للدنيا، ويلاقون للدنيا، ويفارقون للدنيا، ولا يستبشرون إلا بذكر الدنيا وزخارفها. وفيهم لصوص وخدّاعون وغاصبون. يتمنون موت الشركاء بل موت الآباء لمتاع قليل من الدنيا وعرضها، وأراهم من موتهم غافلين.

والحاصل أن قوم النصارى قومٌ قويٌّ الهمّة في إشاعة الفتن والضلالات، وإلقاء التفرقة في الأقوام والقبائل، شديدُ الهيبة صاحب البطش وصاحب الدولة والمال الجزيل، مبدأ الفتن كلها، لا يأمنهم قريب ولا بعيد. وجدوا أهل هذه الديار كعصفور، فنتفوا من ريشهم وأكلوا من لحمهم، وتركوهم في مَكاره الدنيا وشدائدها، وجعلوهم كأنفسهم ضالين ومضلين. وقد تعسّرت عليهم تجاراتهم وسوقهم وكسبهم، ونهبتْ إيمانَهم رياحُ الضلالات، وقد ضل أحداثهم ونساؤهم وذراريهم من هذه الفتن الهائجة كالطوفان العظيم. وتنصّرَ خلق كثير من سادات القوم ومن أولاد مشائخهم وعلمائهم وأمرائهم، فبعضهم ارتدوا طمعًا في أموالهم، وبعضهم طمعًا في نسائهم، وبعضهم طمعًا في الخمر وطرق الفسق والحرية النصرانية التي قد بلغت إلى الغاية، وبعضهم من الترغيب في حكومة الدنيا وسلطانها ومناصبها ولذاتها وشهواتها. وأمّا الذين حماهم فضل

الله وعنايته فأبرياء منهم، وقليل ما هم. فهذه مصيبة عظيمة على الإسلام، وداهية يرتعد منه° روح الكرام، ولا تَخَلُّصَ منها إلا بعناية تنزل من السماء، لأن همم المسلمين قد تقاصرت، والمصائب عليهم قد نزلت، والمعاصي قد كثرت، أكبّوا على الدنيا وزخارفها، وأكثرهم هلكوا مع الهالكين.

فلا تكن من الممترين في كون النصارى دجّالا معهودا ومظهرا عظيما للشيطان. وانظرْ إلى فتنتهم وسحرهم وتسخيرهم المياهَ والأدخنة والجبال والبحار والأنهار، وإخراجِهم خزائن الأرض ومكائدهم وإضلالاتهم، هل تجد نظيرهم في الأولين والآخرين؟

وأمّا قول بعض علماء الإسلام إن المسيح الموعود يُحارب النصارى، ولا يرضى إلا بقتلهم أو إسلامهم، فهذا افتراء على كتاب الله ورسوله. فإنّا إذا نظرنا الصحاح بنظر الإمعان فما وجدنا أثره فيها، ونعلم مستيقنًا أن العلماء اخطأوا في فهم تلك الأحاديث، ووضعوا الألفاظ في غير موضعها. ألم يعلموا أن القرآن لا يصدّق هذا البيان.. والبخاري الذي هو أصحّ الكتب بعد كتاب الله يكذّبه بالبيان الصريح؟ وقد جاء فيه حديثٌ ذُكِر فيه أن عيسى يضع الحرب، فهذه إشارة صريحة إلى أنه لا يحارب بالسيف والسنان. ثم أَنصِفوا - رحمكم الله - أن النصارى لا يحاربون المسلمين لإشاعة

° سهو، والصحيح: "منها". (الناشر)

دينهم في زماننا هذا، ولا يصُدّوهم عن دين الله بأيديهم، فكيف يجوز للمسلمين أن يحاربوهم مع كونهم ممنوعين؟

بل الدولة البرطانية محسنةٌ إلى المسلمين، والملكة المكرّمة التي نحن رعايا لها يرجَح الإسلامُ في باطنها على ملل أخرى، بل سمعنا أزيد من هذا، ولكن لا نرى أن نذكرها. فالحاصل أنها كريمة، وألقى الله في قلبها حب الإسلام، فلهذا السبب جعلها الله مواسية للمسلمين، حتى إنها تحب أن يُشاع الإسلام في بلادها، وتقرأُ بعض كتب لساننا من مسلم آواه° عندها، وسُرّتْ بشيوع ديننا في بلادها المغربية، بل أسلمت طائفةٌ من قومها في بلدة قريبة من دار دولتها، فرحمتْهم وأحسنت إليهم، وأشاعت كتبهم في أقاربها، وتريد أن تؤوي بعضهم في أعزة أمرائها، وأمرتْهم **أن يعمّروا مساجد** لعبادتهم ويعبدوا ربهم آمنين.

ونحن نعيش تحت ظلها بالأمن والعافية والحرية التامة. نصلي ونصوم، ونأمر بالمعروف وننهى عن المنكر، ونردّ على النصارى كيف نشاء، ولا مانع ولا حارج ولا مزاحم، وهذا كله من حسن نيتها وصفاء قلبها وكمال عدلها. ووالله لو هاجرنا إلى بلاد ملوك الإسلام لما رأينا أمنًا وراحةً أزيدَ من هذا. وقد أحسنتْ إلينا وإلى آبائنا بآلاء لا نستطيع شكرها. ومن أعظم الإحسانات أنها وأمراءها

° *سهو، والصحيح: "آوته" . (الناشر)*

لا يُداخلون في ديننا مثقال ذرّة، ولا يمنعنا أحد منهم من فرائضنا وسُنننا ونوافلنا وردِّنا على مذهب قومهم، ولا يبخلون في النعماء الدنيوية، وإنهم لمن العادلين.

فلا يجوز عندي أن يسلك رعايا الهند من المسلمين مسلك البغاوة، وأن يرفعوا على هذه الدولة المحسنة سيوفهم، أو يعينوا أحدا في هذا الأمر، ويعاونوا على شر أحد من المخالفين بالقول أو الفعل أو الإشارة أو المال أو التدابير المفسدة، بل هذه الأمور حرام قطعي، ومن أرادها فقد عصى الله ورسوله وضل ضلالا مبينا. بل الشكر واجب.. ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله. وإيذاء المحسن شر وخبث وخروج من طريق الإنصاف والديانة الإسلامية، والله لا يُحب المعتدين.

نعم إن علماء النصارى يفسدون في الأرض باتخاذهم العبد إلهًا ودعوتِهم إلى طاغوهم وإشاعتهم مذهب التنصر في الأكناف والأقطار والقريب والبعيد، ولكن لا شك أن ذيل هذه الدولة منـــزه عن مثل هذه الأمور وتحريكاها، وما أظن أن أحدا من عقلائهم يعتقد بأن عيسى إله في الحقيقة، بل يضحكون على مثل هذه الاعتقادات ويميلون إلى الإسلام يوما فيوما. بل إنّا نرى أن في دار دولة الملكة المكرّمة قد هبت رياح نفحات الإسلام، ونرى الناس يدخلون فيه أفواجا في كل سنة، ويردّون على النصارى بالحرية التامة. وأن أمراءها الذين أُرسِلوا إلى ديار الهند لنظمها ونسقها لا

يظلمون الناس كظلم الجبارين، ولا يستعجلون في فصل القضايا، وينظرون إلى رعاياهم بعين واحدة، ولا يظلمون الناس، ويعيش كل قوم تحتهم آمنين.

والذين من القسّيسين يدعون إلى الإنجيل وتعاليمه الباطلة المحرفة، فهم لا يظلموننا بأيدينا*، ولا يرفعون السيف علينا، ولا يقتلون لمذهبهم قومنا، ولا يسْبون ذرارينا، ولا ينهبون أموالنا، بل يصل شرهم إلينا من طريق التأليفات المفسدة، والتقريرات المضلة، وتوهين سيدنا ونبينا ﷺ، والردِّ على الفرقان الكريم وتعليمه. والدولة البرطانية لا تعينهم في أمر من الأمور، ولا ترجحهم على المسلمين، بل نرى أن هذه الدولة العادلة قد أعطت كل قوم حرية تامة، وأجازهم إلى حد القانون، فيفعل الناس برعاية قانونهم ما يشاءون، ويرد كل مذهب على مذهب آخر، وتجري المناظرات في هذه الديار كأمواج البحار، والدولة لا تداخل فيهم وتتركهم مجادلين. ثم لم أزلْ أتحدق في هذا السر الغامض.. أعني في أن الله تعالى لِمَ لَمْ يُرسل المسيح الموعود بالسيف والسنان، بل أمره للرفق والغربة والتواضع ولين القول والمجادلة بالحكمة والمداراة وحسن البيان، بل منعه أن يزيد على ذلك، فكنتُ أُفكر في هذا الأمر حتى كشف الله عليّ هذا السرّ، فعلمت أن الله تبارك وتعالى لا يُرسل مصلحا.. رسولا كان

* سهو، والصحيح: "بأيديهم". (الناشر)

أو مجددا.. إلا بإصلاحات اقتضتْها كوائفُ مفاسد الزمان وأهل الأرضين. فقد يتفق أن الناس مع شِركهم وفساد عقيدهم يكونون قوما جبّارين معتدين فاسقين، يظلمون الضعفاء ويُعادون أهل الحق عداوةٍ منجرّة إلى القتل والنهب والسبي، ويسفكون دماءهم، وينهبون أموالهم، ويسبْون ذراريهم، ويعثون في الأرض مفسدين. ويعطيهم الله ابتلاءً من عنده قوةً في الجسم، وكثرة في المال، وإمارة في الأرض، فيكفُرون نعم الله، ولا يتوجّهون إلى وعظِ واعظ، ولا نداءِ مناد، ولا إلى أسرارِ حكمة تخرج من أفواه الحكماء، بل عندهم جوابُ كلِّها السيفُ أو الرمح. ويعيشون كالأنعام أو كالسكارى، ولهم قلوب لا يفقهون بها، ولهم آذان لا يسمعون بها، ولهم أعين لا يُبصرون بها، ويتكبرون بما أعطاهم الله من مُلكٍ ورياسة ومال وثروة، ويؤذون الذين يدخلون في دين الله وكادوا يقتلونهم، ويصدّون عن سبيل الله مستكبرين. ويتعامون بعد رؤية الآيات ومشاهدة البينات، وقد تمّت عليهم حُجّة الله فلا يبالونها، بل يزيدون في الظلم والعصبية وحمية الجاهلية والقساوة وإيذاء المبلّغين. فيغضب الله غضبا شديدا على تلك الأقوام، ويريد أن يفكّ نظامهم، ويجعل أعزّتَهم أذلّةً، ويُنـــزل عليهم عذابا من الأرض أو من السماء، أو يجعلهم شِيَعًا ليذيق بعضَهم بأسَ بعض، ويأمرُ رسولَه ليؤدّبهم بالسيف والسنان، ويستخلص المسلمين منهم ويكسر هامة الظالمين. فيقتل الرسولُ المأمور قتلا مهيبا، ويُثخن في الأرض إثخانا عجيبا،

حتى يضعف المستكبرون ويتقوّى المستضعفون، ويُبدّلهم الله من بعد خوفهم أمنًا، فيعبدونه مطمئنين، ويدخلون في دينه آمنين. وإن تطلب نظير هذا النوع من الفساد فتجد في زمان كليم الله وخاتم النبيين.

وقد يتفق أن الناس يضيّعون دينهم وديانتهم، ولكنهم لا يقاتلون أنبياء الله ومرسليه للدين، ولا يفسدون في الأرض بالسيف والسّنان، بل بتقارير المُضلّةِ وزيغ البيان، ولا يريدون أن يُبطلوا شعائر الإسلام بالرماح والسهام، بل بالمكائد وسحر الكلام، ولا يؤذون طالب الحق إذا أراد أن يقبل الحق، وكذلك يفعلون لوجه من الوجهين: **أحدهما** إذا كانت تلك الأقوام الذين أُرسل إليهم رسول أو مُحدَّثٌ ضعفاءَ غير قادرين على إيذاء أحد، فلا يظلمون المرسلين لعدم قدرة الظلم وفقدان أسباب البطش والقتل والسفك، ويرى الله أنهم مع خبث نفسهم وكثرة مكائدهم، لا يستطيعون أن يؤذوا أحدًا ويظلموا مُصلحا، ويرى أنهم مستضعفون مغلوبون. وقد يكون سبب هذا الضعف مشاجرات وقعت بينهم وسلبت طاقتهم، وقد يكون سببه استيلاء قوم آخرين، وقد يجتمعان فيزيدان عجزا وضعفا. **وثانيهما**: إذا كانت تلك الأقوام مهذبين مع كونهم ملوكا وسلاطين، فلا يمنعون رُسُلَ الله من دعواتهم ولا يظلمون ولا يؤذون، بل تكون حكومتهم حكومة الأمن ولا يعثون في الأرض ظالمين سفّاكين، صادّين عن سُبل الله، ولا يسلّون السيوف لإشاعة

الباطل كالمعتدين، بل يكيدون ويمكرون، ويدعون الناس إلى دينهم بلطائف الحِيل، ويفسدون النفوس ولا يؤذون الأجسام، بل يتركون الناس منعمين. وإن تطلب نظير هذا النوع من الأقوام فتجد في زمان عيسى عليه السلام، لأن عيسى أُرسل إلى قوم قد مُزّقوا كل ممزّق من قبل مجيئه، وضُربت عليهم الذلة والمسكنة، واضمحلت رياساتهم وبطلت إماراتهم، وكانت الدولة الرومية لا تداخل في دين اليهود، فما رأى عيسى عليه السلام أن يُقاتلهم، لأن المرسلين يدعون بالرفق والحلم والرحمة، ولا يرفعون السيف إلا على الذين يرفعون عليهم، ويصلحون فساد العقل بالعقل، وفساد السيف بالسيف، ويداوون كل مرض كما يليق وينبغي: السيف بالسيف والكلام بالكلام، ولا يحبّون أن يكونوا من المعتدين.

وكذلك أُرسلتُ **مجدِّدًا محدَّثًا** لآخر الزمان، ووجدتُ أعداء دين الإسلام لا يقاتلون المسلمين للدين، وما سلّوا سيوفا وما قوَّموا رماحا لإشاعة دينهم، بل يُشيعون دينهم بالمكائد والحِيل العقلية، وتأليفِ الكتب المضلِّة المغلِّطة، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين. فما كان الله أن يسلّ عليهم السيف، وكيف يقتل الله قوما لا يبارزون بالسيوف، بل يطلبون الدلائل كالفيلسوف؟ ومع ذلك إنهم قوم غافلون، جاءوا من أقصى البلاد لا يعرفون شيئا من حقائق القرآن وأنواره ولطائفه ودقائقه، وقد نشأوا في الديار البعيدة من الإسلام، فلما لاقوا المسلمين ووردوا في ديارنا وجدوا المسلمين في

أنواع الظلام من الآثام، فقست قلوبهم برؤية المبتدعين، وكانوا من كلام الله غافلين. وما آذونا وما قتلونا وما سعوا في الأرض سفاكين. فلا يرضى عقل سليم وفهم مستقيم، أن ندفع الحسنة بالسيئة، ونؤذي قوما أحسنوا إلينا، ونرفع السيف على أعناقهم قبل أن نتم الحجة على قلوبهم، وقبل أن نسكّتهم بالبراهين العقلية والآيات السماوية، وقبل أن يظهَر أنهم عصوا عمدًا بعدما رأوا الآيات وبعدما تبين الرشد من الغي. فلو نترك الرحم والرفق والمداراة ونقوم عليهم سفاكين جبارين، فلا يكون ذنب أكبر منه، وإذًا كنّا أخبث الظالمين.

فهذا هو السبب الذي أرسلني الله تعالى على قدم المسيح. فإنه رأى زماني كزمانه، وقوما كقومه، ورأى النعلَ طابَقَ بالنعل، فأرسلَني قبل عذاب من السماء لأنذر قوما ما أُنذرَ آباؤهم ولتستبين سبيل المجرمين. وأنت ترى أن أكثر المسلمين اتبعوا شهواتهم، وأضاعوا الصوم والصلاة، وقست قلوبهم، وفسدت طبائعهم، وما بقي فيهم إلا اسم الإسلام ورسمُ الدخول في المساجد، ولا يعلمون ما الإخلاص وما الذوق وما الشوق، وكثير منهم يزنون ويشربون الخمر ويكذبون، ويحبون المال حبا جما، ويعملون السيئات، ويؤثرون البدعات على هدي رسول الله ﷺ، فكيف الكافرون الغافلون الذين لا يعلمون شيئا ولا يعقلون، ولا يتكلمون إلا كغطيط النائم، وما يدرون ما سبل الإسلام وما البراهين! فظهر من

ههنا أن العقيدة التي استحكمت في قلوب العوام أن **المهدي والمسيح** يظهران في آخر الزمان ويقتلان كل من لم يسلم، ليس بشيء، بل إنه لخطأ مبين.

أيُفتي العقل السليم أن الله، الذي هو الرحيم والكريم، يأخذ الغافلين في غفلتهم، ويُهلكهم بالسيف أو عذاب السماء، ولَمَّا يفهموا حقيقة الإسلام وبراهينه ولم يعلموا ما الإيمان ولا الدين؟ ثم إذا كان مدار الرحم والشفقة إزالةَ آفة قد أحاطت وكثرت، فكيف يجوز علاج مفاسد الأقلام بالسيوف والسهام؟ بل هذا إقرار صريح بأننا لا نقدِر على الجواب، وليس عندنا جواب الأدلّة المضلّة إلا ضرب السيف البتّار وقتل الكفّار. وكيف يطمئن قلب المعترض الشاكّ الغافل بضرب من السيف أو السوط أو جرح من الرمح والسهم، بل هذه الأفعال كلها تزيد ريب المرتابين.

ثم اعلم أن غضب الله ليس كغضب الإنسان، وهو لا يتوجّه إلا إلى قوم قد تمّت الحجّة عليهم، وأزيلت شكوكهم، ودُفعت شبهاتهم، ورأوا الآيات ثم جحدوا مع استيقان القلب، وقاموا على ضلالاتهم مبصرين. والعجب من إخواننا أنهم يعلمون أن عذاب الله لا ينــزل على قوم إلا بعد إتمام الحجة، ثم يتكلمون بمثل هذه الكلمات. والعجب الآخر أنهم ينتظرون المهدي مع أنهم يقرأون في صحيح ابن ماجه والمستدرك حديث: "لا مهدي إلا

عيسى"، ويعلمون أن الصحيحين قد تركا ذِكره لضعفِ أحاديث سُمعت في أمره، ويعلمون أن أحاديث ظهور المهدي كلها ضعيفة مجروحة، بل بعضها موضوعة، ما ثبت منها شيء، ثم يُصرّون على مجيئه كأنهم ليسوا بعالمين.

وأما الاختلافات التي وقعت في خبر نزول المسيح، فالأصل في هذا الباب أن الأخبار المستقبلة المتعلقة بالدنيا لا تخلو عن الابتلاء، وكذلك يريد الله منها فتنةَ قوم واصطفاء قوم، فيجعل في مثل هذه الأخبار استعاراتٍ ومجازات، ويُدقّق مأخذها ويجعلها غامضة دقيقة فتنةً للذين يُكذّبون المرسلين، ويظنون ظن السوء كالمستعجلين. ألا ترى إلى اليهود كيف شَقُوا في ردِّ الرسول الصادق الذي جاء كطلوع الشمس مع وجود خبر مجيئه في كتبهم. ولو شاء الله لكتب في التوراة كل ما يهديهم إلى صراط مستقيم، ولأخبرهم عن اسم خاتم الأنبياء ﷺ وعن اسم والده واسم بلدته وزمان ظهوره واسم صحابته واسم دار هجرته، ولكتب صريحا أنه يأتي من بني إسماعيل، ولكن ما فعل الله كذلك بل كتب في التوراة أنه يكون منكم من إخوانكم، فمالت آراء اليهود إلى أن نبي آخر الزمان يكون من بني إسرائيل، ووقعوا من هذا اللفظ المجمل في ابتلاء عظيم، فهلك الذين ما نظروا حق النظر، وظنوا أن يخرج النبي من قومهم ومن بلادهم، وكذّبوا خاتم النبيين.

واعلم أن هذه السُنّة ليست من قبيل الظلم بل من جميل إحسانات الله على عباده الصالحين، لأنهم يُبتلون عند الأنباء النظرية الدقيقة بابتلاء دقيق من ربهم، ثم يعرفون بنور عقلهم ولطافة فراستهم الصراطَ المستقيم، فيتحقق لهم الأجر عند ربهم، ويرفع الله درجاتهم، ويميّزهم من غيرهم ويُلحقهم بالواصلين. ولو كان الخبر مشتملا على انكشاف تام وعلامات بديهة واضحة لجاوز الأمر من حدّ الإيمان، ولأقرّ به المفسد المعاند كما أقرّ به المؤمن المطيع، وما بقي على وجه الأرض أحد من المنكرين. ألا ترى أن أهل المِلل والنِّحل كلهم مع اختلافاتهم الكثيرة لا يختلفون في أن الليل مظلم والنهار منير، وأن الواحد نصف الاثنين، وأن لكل إنسان لسان* وأذنين، وأنف* وعينين، ولكن الله ما جعل الإيمانيات من البديهيات، ولو جعل لضاع الثواب وبطل العمل، فتَفكّرْ فإن الله يهدي المتفكرين. ومن كان عالما صالحا مجتهدا في طلب الحق ينوِّر الله قلبَه، ويُريه طريقه، ويعطيه فراسة من عنده، وإن الله لا يضيع أجر المحسنين. والذين كفروني ولعنوني ما تدبروا في كتاب الله حق التدبر، وظنوا ظن السوء، وما تفكروا في أنفسهم أن العاقل لا يختار السوء والضلالة لنفسه، ولا يفتري على الله، وكيف يختار طريقا ويعلم أن فيه هلاكه؟ وأي شيء يحمله على ذلك الوبال

* سهو، والصحيح: "لسانا" و "أنفا". (الناشر)

مع علمه أنه طريق الخسران في الدنيا والآخرة؟ ولا يخفى على أعدائي أني امرؤ قد نفد عمري في تأييد الدين حتى جاءني الشيب من الشباب، فكيف يظن عاقل أن أختار الكفرَ والإلحاد في كبر سني ووهن جسمي وقربي من القبر؟ سبحان ربي! إن هذا إلا ظلم مبين. وها أنا بريء من بهتانهم، وما أجد عند النظر في عقائدي من سريان الوهم بهذا، والله يعلم ما في قلبي وقلوبهم، وتوكلت عليه. وما حمل عقلاءهم على مخالفتي إلا حبُّ الدنيا وناموسها، والحسدُ الذي لا ينفكّ من أكثر العلماء إلا من حفظه الله برحمته. وقد جرت عادة أكثر العلماء هكذا أنهم إذا رأوا رجلا يقول قولا فوق أفهامهم فلا يتفكرون فيه، ولا يسألون القائل ليبين لهم حقيقته، بل يشتعلون بمجرد السماع، ويكفرونه في أول مجلس، ويلعنونه ويُكثرون القول فيه، وكادوا أن يقتلوه مشتعلين. وقال الله ﷻ: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾●.

والأمر الحق الذي يعلمه الله أن المسلمين كانوا في هذا الزمان كأفراخ العصافير ما بلغوا أشُدَّهم الروحانية، وسقطوا من أكنانهم وأوكارهم وأعشاشهم، فأراد الله أن يجمعهم تحت جناحي، ويذيقهم حلاوة الإيمان، ولذةّ أُنس الرحمن، ويجعلهم من العارفين. فمن كان عاقلا طالبا للنجاة فليبادرْ إليّ، ولا يُبادرُ إليّ إلا الذي

● يس: ٣١

يخاف الله وينبذ الدنيا من أيديه وعِرضها وناموسها، ويبادر إلى الآخرة، ويرتضي لنفسه كل لعن وطعن، وأقوال الأعداء وهجر الأحباء، وسبّ السّابّين.